السهم

ظلام

إسلام العقاد

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

مصطفى عماد

الطبعة: الأولى

الكتاب:ظام

المؤلف: إسلام العقاد

تصنيف الكتاب: رواية

التصميم والإخراج: سالي شاهين

تصميم الغلاف: ريهام محمد

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ٢٨٢٠٠ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6768 - 34 - 9

العنوان : ٣ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : Yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مفتتح

<<لكل صورة ذكرى، ولكل ذكرى حكاية ... الصور تحبس اللحظات وتسجنها لتظل دائمًا أمام أعيننا>>

إسلام العقاد

المُقدِّمةُ

ليس بالشرط أن يكون لديك لكل ذكرى صورة فوتوغرافيا ملموسة، لكن من المؤكد هناك صورة مطبوعة في رأس كل منا لذكرى سعيدة أو مؤلمة ... تتذكر الصورة بمجرد أن تتذكر الذكرى نفسها .... وهذا هو عملي حبس وسجن الذكريات بكافة أشكالها وألوانها داخل صور فوتوغرافيا.

طارق زياد هو اسمي ولقبي هو السهم ... مصور فوتوغرافيا في إحدى الجرائد الشهيرة وأصدقائي في العمل أطلقو على اسم السهم لأنني أشبهه تمامًا فهو يخترق الحواجز ويصل لهدفه، وأنا كذلك أخترق أي مكان بسهولة، وأصل إلى هدفي وألتقط الصورة وأحبس الذكرى داخل إطار ... أسجن فيه الزمن والأشخاص والذكريات ...

هذه الرواية مستوحاة من أحداث حقيقية

الفصل الأول

ترررررررن ـ ترررررررررن

يدق جرس الهاتف المحمول بانتظام وأنا غارق في نوم عميق ويمتزج الصوت في أحلامي ... أمد يدي قصرًا نحو الكمود وأسكت صوت رنين المنبه وأعاود النوم مرة أخرى ... فأنا أعشق النوم جدًا .. ليس كسل مني لكن للنوم مذاق خاص وخصوصًا الخمس دقائق الغفوة بين رنة المنبه الأولى والثانية فأنا أعشقها ...

يدق جرس المنبه مرة أخرى بتبجح وأعلم أنه لن يصمت حتى أستيقظ... أجلس في فراشي نصف جلسة وأمد يدي نحو الكمود والتقط الهاتف وأنظر إلى الساعة بعد أن أسكته إلى الأبد ... إنها تشير إلى السابعة صباحًا ..... إنه معاد استيقاظي من النوم فأنا لي طقوس خاصة في الصباح ولذلك أحب أن استيقظ مبكرا ...

أجلس على طرف الفراش أحاول أن أستعيد صفاء عقلي ... أحارب سكرات النوم. اتجه إلى الحمام وأنا أترنح كمسطول خارج لتوه من خماره بعد أن قضا بداخلها أربعة أيام كاملة يشرب الخمر .. أضع رأسي

تحت صنبور المياه وأغسل شعري الأسود الناعم وأمد يدي ألتقط منشفة وأجفف رأسي ... أخرج من الحمام وأتجه إلى أخر الشقة حيث المطبخ... أفتح الثلاجة، أنظر بداخلها للحظات ثم ألتقط ثلاث بيضات وطبق البسطرمة وأبدأ في صناعة البيض والبسطرمة فهو طبقي المفضل في الفطار أستطيع أن أتناول هذه الوجبة يوميًّا دون الشعور بالملل.

أحمل طبق البيض مع كوب من الشاي بالحليب وبعض أرغفة الخبز وأجلس على مائده الفطار وأبدأ في تناول الفطار بتركيذ ونهم ... فأنا مرتب إلى حد ما ومنزلي أيضًا مرتب ونظيف .. شقة صغيرة استأجرتها منذ أربعة أعوام بعد وفاة أبي وأمي، في الحقيقة كنت أرغب في الانتقال إلى مكان آخر فمنزل العائلة كان يذكرني بهم كثيرًا .. وعلى كل حال فهي شقة مريحة في شارع جانبي من شارع فيصل بالقرب من الشارع الرئيس... مكوَّنة من غرفتين أحدهم هي غرفة نومي والأخرى بها مكتب وأريكة ومكتبة كتب لا بأس بها .

أصنع كوبًا من القهوة بعد الإفطار وأجلس على الأريكه في الصالة أقرأ الجرائد على الإنترنت ... في الحقيقة أتصفحها سريعًا وأنا أشرب القهوة هذه هي طقوسي اليومية ... أكثر ما يجذبني في الخبر هي الصور المنشورة معه ويقع بصري على صورة لأحد نجمات السينما نشرت في أحد الجرائد مع خبر

يؤكد انفصالها عن زوجها ولم تعجبني الصورة كثيرًا فهي غير معبرة وبها رتوش كثيرة وغير مفلترة أظن أن هذا المصور هاوي فأنا لا أعرفه ..

الصور تجذبني لأنها مهنتي فأنا مصور صحفي في جريدة الحياة، وملقب بالسهم لأنني أخترق أي مكان كالسهم والتقط الصورة وأخرج سريعًا .. هكذا لقبني أصدقائي في الجريدة فأنا نجم في هذا العالم ...

أتجه إلى غرفتي وأفتح دولاب ملابسي وأنتقي بنطالاً من الجينز الأسود و (تي شيرت) أخضر زرعي وأرتدي ملابسي وأبحث أسفل السرير عن جوارب سوداء فأنا منظم كما ترى، كل شيئ في مكانه تمامًا ... أربط رباط الحذاء وأحمل حقيبتي بعد أن تأكدت من وجود الكاميرا والعدسات بداخلها وأفتح باب الشقة وأهبط الدرج سريعًا فالشقة في الطابق الرابع ولا يوجد مصعد في العمارة لأن العمارة ببساطة أربع طوابق فقط .

هواء ساخن يهاجم جلد وجهي فأنا في مواجهة الشارع المزدحم بالسيارات وأتوبيسات هيئه النقل العام .... أضع يدي على جبهتي أحمي عيني من أشعة الشمس وانظر إلى الطريق في انتظار أتوبيس ينقلني إلى ميدان الجيزة حيث مقر الجريدة ... ووسط زحمة السير المعتادة وأصوات الكلاكسات الغير مبررة يتسرب إلى أذني صوت هاتفي المحمول يدق بعنف ... من المؤكد أنه أستاذ محمد العباسي رئيس قسم التصوير بالجريدة، فهو

يعشقني إلى أقصى درجه فأنا نجم القسم عنده وفي الحقيقة... هويعامل الجميع كأبناء له، لكنه أيضًا شديد الحزم لا يتهاون في العمل إطلاقا وكثيرًا ما جعلني أقطع أجازات لي لتغطية حدث هام ... أخرج الهاتف من جيبي وأنظر إلى رقم المتصل قبل أن أجيب لأجده الأستاذ محمد العباسي رئيس القسم فأرد على الفور ويأتي صوتي جافاً غليظ كما تعود مني الجميع في الصباح.

_ صباح الخير يا ريس أنا عشر دقائق وأصل .

جاء صوت الأستاذ محمد عبر الهاتف متوتر وهو يقول:

_ لاء يا طارق مش عايزك تيجي اطلع على العنوان اللي بعته لك على الواتساب في جريمة بشعة هناك وأول ما هتوصل هتلاقي خالد مرزوق وكلمني أول ما تخلص.

_ حاضر ياريس .

أغلق الخط فور انتهاء المكالمة دون أن يلقي على السلام أو يشير إلى انتهاء المكالمة هذه هي عادة الأستاذ محمد لكني تعوت عليها ... أفتح تطبيق الواتساب وأنظر إلى العنوان حيث وجهتي لأجد العنوان في المريوطية هي محطه بين شارع فيصل والهرم وأظن المسافة ليست بعيدة عن مكان منزلي فأنا أسكن في بداية شارع فيصل ... أعبر الطريق إلى الجهة الأخرى وأقفز في أول أتوبيس يتجه نحو المريوطية.

وانشغل عقلي طوال الطريق بصديقي خالد مرزوق فهو محرر بالقسم الفني وليس له أي علاقه بقسم الحوادث ... ما علاقة الفن بالحوادث وظننت أن الحادث لفنان أو فنانه مشهورة .. وخالد صديقي منذ الطفوله تشاركنا المدرسة الابتدائية والإعدادية والثانوية معًا ولم ننفصل إلا في الجامعة فهو التحق بكلية الإعلام قسم صحافة وأنا التحقت بكلية التجارة، لكن التصوير هواية لي منذ الصغير وتميزت فيها حتى أصبحت مهنتي .

لم يكن الوصول إلى عمارة الحادث شيئ صعب فبمجرد دخولي الشارع وجدت سيارات الشرطة وتجمع عدد كبير من أهالي المنطقة حول العمارة .. اتجهت مسرعًا نحو الزحام نظرت حولي جيدًا ووجدت سيارات الإسعاف فتأكدت أن الجثة لم تغادر مسرح الجريمة ووقع بصري على صديقي خالد، كان يتحدث مع شخص ما أمام مدخل العمارة إنه أحد شهود العيان فاتجهت نحوه ووضعت يدي على كتفه فالتفت لي وقال:

_ الحمد لله أنك وصلت بسرعة... اطلع صور الجثث والشقة.

نظرت له في تعجب وقلت:

_ جثث .. هي جريمه قتل جماعية.

تنهد ووضع يده في خصره وقال:

_ المنظر فوق بشع .. العمارة دي بيت عيلة، الدور الأول شقتين والجثث في الشقتين .. اطلع بسرعة.

_ هو إنت إيه اللي جابك هنا إنت مش محرر فني يا ابني.

نظر لي وابتسم وقال:

_ اتنقلت ... أكل العيش يا طارق.

اخترقت الأجساد المكدسة أمام العمارة حتى وصلت إلى درجات السلم ووجدت أمين شرطة يقف عند أول درجة منعني من الصعود، لكني أخبرته أنني مصور صحفي لجريده الحياة وأبرزت له الكارينيه، لكنه لم يفسح لي المجال إلا بعد أن أكدت له أنني سوف ألتقط له مجموعة صور تنشر في الجريدة تشير إلى بطولته مع رئيس المباحث .

أفسح لي المجال وصعدت الدرج مسرعًا حتى الطابق الأول وجدت العديد من رجال الشرطه ورجال المعمل الجنائي واتجهت نحو الشقة الأولى نحو اليسار ووقفت عند الباب وشعرت أن الدم تجمّد في عروقي وجحظت عيناي.

دقات قلبي كانت متسارعة وموجة من البرد اجتاحت كياني كله.

برررررد رهيب أشعر به في أغسطس من هول المشهد الذي أمامي مستحيل ... هذا مستحيل تمامًا.

من فعل هذا كان مجذوبًا بلا شك .... تجمّد الدم في عروقي وشعرت بالغثيان كان المشهد مقززًا إلى أقصى درجة ... دوار رهيب أشعر به الآن

ورغبة شديدة في القيئ ... تراجعت عده خطوات إلى الخلف وانحنيت وأستندت بيدي على ترابزين السلم وافرغت ما في جوفي ... شعرت براحة نسبية ورفعت رأسي إلى الأعلى أستنشق الهواء النقي ... أخرجت من جيبي منديلاً وجففت فمي من أثر القيئ، ثم تذكرت الحادث والجريمة وفتحت حقيبة يدي وأخرجت منها الكاميرا واخترت عدسة مناسبة تمامًا .

دخلت المنزل ونظرت حولي لرجال المعمل الجنائي ولرجال المباحث الملتفون حول أريكة يجلس عليها جثة رجل في الخمسين من عمره، وعلى كرسي بجوار الأريكية نحو اليسار يجلس جثمان شاب لا يتجاوز عمره عشرون عامًا وعلى الجهة الأخرى جثمان فتاة لها شعر أسود في أواخر العشرينيات ... كانت كل الجثث عارية تمامًا كما ولدتها أمهاتهم ومذبوحة من العنق كالخراف وأعضائهم التناسلية مقطوعة ووضعت في فم كل منهم .

التقطت مجموعة صور متتالية للجثث، ثم لاحظت ما هو أبشع فكان على جدران المنزل رسم لنجمة خماسية بالدماء وعلى حائط آخر نحو اليمين كان هناك رسم لدائرة بداخلها مثلث بالدماء، وأسفل الرسم كلمات بحروف أشبه بالحروف العربية، لكني لم أستطع قراءتها أو على وجه الدقة قراءتها لم تسفر عن جملة مفيدة .

ألتقط الصور للرسم على الجدران، ووجدت على الأرض أجساد لحمام أبيض صغير مقطوع الرأس ... ألتقط له مجموعه صور هو أيضًا وشعرت بيد أحد توضع على كتفي فاستدرت خلفي لأجد رئيس المباحث ينظر لي والشرر يتطاير من عينيه، وقال:

_ أنا نفسي أفهم إنتوا بتعرفوا إزاي بالحدثة زيكم زينا ... إنتوا إيه جراد.

ابتسمت له مجاملة، وقلت:

_ شغلنا يا باشا .. لينا مصادرنا.

فصاح في وجهي:

_ اخرج من هنا .

_ آسف يا باشا ... على العموم أنا خلصت شغلي.

خرجت من الشقه الأولى واتجهت إلى الشقة الثانية المقابلة لها، وكان الحال هناك أشبه بالحال في الشقة الأولى ... حيث كان يجلس في الصالة رجل وسيدة وطفلين في السابعة أو الثامنة من عمرهم وكانت الجثث أيضًا عارية تمامًا ونفس الرسم على الجدران والحمام على الأرض دون رأس... ألتقط الصور للجثث والجدران والحمام الملقى على الأرض ...

خرجت من المنزل ومن العمارة ووجدت صديقي خالد يقف عند الجهة الأخرى بجوار سيارته البيجو الرمادية وفور رؤيته لي رفع يده وأشار

لي فاتجهت بدوري نحوه .. كنت أشعر أن جسدي كله ينتفض استندت بظهري على السيارة، وقال لي

_ إيه كله تمام ؟

هززت رأسي مؤيدًا لكلامه وقلت له:

_ إلى عمل العملة دي أكيد مجنون.

فأشار نحو العمارة وقال:

_ أهو نازل هناك أهو مع المباحث.

نظرت نحو مدخل العمارة ووجدت رجال المباحث تخرج ومعها شاب في مقتبل العمر يرتدي بنطالاً رياضيًا أسود (تي شيرت) للنادي الأهلي ممزق من جه الكتف وله شعر أشعث مغبر وقد برزت عظام وجنتيه وحافي القدم ... نحيل إلى أقصى درجة ... أخرجت كاميرا هاتفي وجريت إلى الجهة الأخرى حتى ألتقط له صورة فكانت المسافة من مدخل العمارة إلى سيارة الشرطة صغيرة لن تسمح لي باستخراج الكاميرا من الحقيبة ... توقفت بجوار سيارة الشرطة والتقط له عدة صور وهو في طريقه إلى السيارة وأثناء صعوده إليها ... ثم وضعت هاتفي في جيب البنطلون وعبرت الطريق إلى الجهة الأخرى حيث سيارة صديقي خالد ...

اشار لي صديقي خالد بركوب السياره معه ..استدرت إلى الجهة الأخرى

وركبت السياره وتولى هو القيادة وقلت:

_ هنروح على فين؟

فقال وهو ينطلق بالسيارة :

_ مستشفى أم المصرين ... أم القتيلة ومرات المقتول هناك في المستشفى محجوزة

انطلقت السيارة تقطع الطريق ... نخترق الزحام ونختصر الطريق باللجوء إلى الشوارع الجانبية وصوره الجثث محفورة في ذهني تأبى الانصراف فنظرت إلى خالد وقلت له:

_ مش ملاحظ حاجة غريبة في الجريمة دي

ابتسم نصف ابتسامة، وقال:

_ حاجة واحدة ... قول حاجات ... رسم شيطاني على الحيطان وحمام مدبوح وأعضاء متقطعة ...

قاطعته وقلت له:

_لا لا مش قصدي ... كل حاجة في البيت كانت سليمة مافيش حاجة مكسورة زي ما يكون ماكنش في أي مقاومة من الضحايا وهما بيدبحوا ... وكلهم كانوا قاعدين في الصالة بيتفرجوا على التلفزيون ووشهم كان عليه ملامح رعب .

_ هي حاجة غريبة فعلا .. أدينا هنروح لأم القتيلة ونعرف منها إيه اللي حصل

_ معرفتش أي حاجة عنهم.

_ كل اللي أعرفه إن المباحث جلها تليفون من مجهول بيقول أن ناس ميته في الشقة لما المباحث وصلت .... كان في عيل مرمي على الأرض وسط الصالة مغم عليه ...

_ آه الواد اللي اتقبض عليه ده ..

_ أيوة هو ده ... ومحدش من أهل القتيل عايز يتكلم في أي حاجة، وكل اللي أعرفه إن البيت ملك محمد الفولي اللي اتقتل واللي كانوا معاه في الشقة دول عياله واللي في الشقه اللي قدامه هو ابنه الكبير ومراته وأطفاله واللي ساكن في الدور الثاني أخو محمد الفولي الأستاذ حاتم واللي في الشقة اللي قصاده ابن حاتم.

_ ومرات القتيل كانت فين ساعة ما المصيبة دي حصلت ؟

_ كانت مرمية عند ترعة الزمر مغمى عليها وولاد الحلال لقوها إمبارح بالليل ونقلوها مستشفى أم المصرين.

_ طب إيه اللي يخلي واد زي ده يقتل عيلة كاملة ؟

_ علمي علمك ...

_ يعني هو ده كل اللي تعرفه؟ أمال عامل فيها محرر حوادث وانت مش عارف تجيب معلومة واحدة عليها القيمة.

_ مش لما المباحث الأول تعرف حاجة أبقى أعرف أنا ..

توقف خالد بالسيارة أمام مستشفى أم المصرين وخرجنا من السيارة وعبرنا الطريق إلى الجهة الأخرى ودلفنا إلى المستشفى واجتاحتني رغبة قوية في معرفة كل تفاصيل الحادث ... معروف عني الفضول لكن في هذه القضية بالتحديد كان يتملكني رغبة أخرى ... شيئ أكبر مني للمعرفة .. لعله الفضول كان متفاقم بداخلي أو عدم اقتناعي بأن الشاب الهزيل الذي قبض عليه لا يستطيع قتل عائلة بأكملها فهو هزيل ونحيف وعندما تنظر له لا تعطيه أكثر من سبعة عشر عامًا كأقصى تقدير، وكان هناك لغزًا، لكن دعنا لا نسبق الأحداث ...

الآن أقف أمام موظف الاستقبال وبعد سؤال خالد عن الأستاذة روحية علمنا أنها في عنبر سبع نساء توجنها إلى السلم الداخلي وصعدنا السلم حتى الطابق الرابع ... كان هناك ممر طويل وعلى الجانب مجموعة من الغرف ورائحة المطهرات في كل مكان وأبواب العنابر كانت مفتوحة وأنا أسير وسط الممر وجدت في أحد العنابر نسوة تجلس على الأرض وأمامهم (حلل) الطعام ويضحكون ويتسامرون وأمام أحد العنابر كانت تجلس سيدة بدينة ترتدي جلبابًا أسود وعلى رأسها طرحة سوداء تجلس على (حصيرة) وطفل لا يتجاوز الخامسة يضع رأسه على ساقيها ويغوص في نوم عميق .

في أخر الممر دلفنا نحو اليسار إلى العنبر ٧ نساء ... كان العنبر به العديد من السراير، وبعد السؤال عن السيدة روحية وجدناها في أخر العنبر ...تجلس نصف جلسة على السرير وعيناها جاحظتان تحملق في السقف وقفت بجوارها من جهة اليسار ووقف خالد بجوار الفراش من جهة اليمين، وانحنى نصف انحناءة واقترب منها وقال:

_ حمدلله على سلامتك يا أستاذة روحية .

لم تجيب السيدة وظلت تحملق في السقف وكأننا أطياف أشباح لا ترانا ولا تسمعنا وقال صديقي:

_ أنا صحفي وكنت عايز أسألك كام سؤال كده ... ممكن ؟

لم تجيب السيدة ولم يظهر عليها أي إشارة أنها تسمعنا وكأنها في عالم آخر غير عالمنا ووضعت يدي أمام عينيها وحركت يدي جهة اليمين واليسار حتى ألاحظ حركة عينها هل تتبع يدي أم لا لكن عيناها كانت ثابتة، وكأنها من زجاج فنظرت إلى صديقي حائرًا وقلت:

_ دي في عالم تاني.

وسمعت صوت نسائي من خلفي يقول:

_ الست روحية من ساعة ما فاقت وهي على الحالة دي ولا حس ولا خبر، إحنا يدوب عرفنا اسمها وعنوانها من البطاقة اللي لقينها في شنطتها لما جت هنا.

استدرت أنظر خلفي إلى مصدر الصوت فوجدت ممرضة نحيفة تقف خلفنا فاتجه صديقي إلى الممرضة التي تحدثت معنا وقال:

_ هي خالتها إيه ؟

_ الدكتور بيقول إنها عضويًا سليمة مافيهاش حاجة، لكن لازم تروح لدكتور نفسي... بالإذن عشان عندي شغل.

انصرفت الممرضة وأخذت نفسًا عميقا ونظرت إلى خالد وقلت:

_ مش هتعرف تاخد معاها حق ولا باطل ... الصدمة خالتها في عالم تاني.

هز خالد رأسه مؤكدًا لكلامي واستدار واتجه نحو الباب فنظرت إلى السيدة ووجدت عيناها بيضاء تمامًا والنني اختفى وتحركت يدها وقبضت على يدي بقبضة من فولاذ وشعرت أن عظام يدي تتفتت، وقالت بصوت لا يخرج إلا من الشيطان نفسه:

_ عيون زي النار .. عيون زي النار.

وارتخت يدها وأغمضت عيناها فسحبت يدي منها سريعًا واتجهت نحو باب العنبر خلف صديقي ودقات قلبي ترتفع وتدق بعنف .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

توجهت إلى غرفة مكتبي فور دخولي الجريدة بعد أن ألقيت تحية الصباح على رشا سكرتيرة رئيس قسم التصوير، وهي فتاة نحيفة عندما تنظر إليها تشعر أنها خرجت لتوها من مجاعة ...خمرية البشرة هي ...لها طابع هادء ودائمًا أمامها كوب عصير وشطيرة تتناولها طوال اليوم، لكنها تتميز بالكفاءة في العمل كثيرًا ما ظننت أنها تقوم بعمل القسم كله دون أن تشتكي أو تشعر بالملل .

جلست خلف مكتبي وأخرجت كارت (المموري) من الكاميرا ووضعته في جهاز الكمبيوتر لتفريغ الصور التي التقتها وأثناء تحميل الصور دق جرس الهاتف الداخلي بغرفة مكتبي ومددت يدي نحو سماعة الهاتف وعيني مركزة على الصورة الأولى التي فتحت أمامي وقد جحظت عيناي وتدلى فكي مما رأيت وشعرت أنني أنهار والتقطت يدي السماعة ليأتي صوت رئيس القسم .

_ فين الصور يا طارق ؟

شعرت أن الكلام اختفى وكأنني فقدت القدرة على النطق ... سمعتي

وتاريخي كله سينهار تمامًا فما وجدته أمامي الآن شيئ لا يصدقه عقل .... الصور .. الصور كلها بيضاء أمامي، يدي تتحرك على أسهم لوحه مفاتيح الكمبيوتر تقلب الصور، لكنها كلها بيضاء وكأنها اختفت تمامًا أو احترقت نتيجة إضاءة قوية أثناء التقاط الصورة وهمست في الهاتف.

_ مافيش صور يا ريس ... الصور كلها اختفت من على الكاميرا.

_ يعني إيه مافيش صور ... تعال مكتبي حالاً.

أغلقت الخط واتجهت إلى غرفة رئيس القسم وبطبيعة الحال تم توبيخي واكتفى بخصم ثمن شراء الصور من جريدة أخرى من راتبي الشخصي وهذا لم يؤثر فيَّا إطلاقا، لكن ما هزني فعلا أنني أخفقت في التصوير، وهذا بالنسبة لي يُعد كارثة، لكن ماحدث بعد ذلك جعلني أفهم الكثير ....

كما أخفقت في التصوير أخفق كل مصوري الجرائد الأخرى فكل مصوري الجرائد لم يجدو الصور على كاميراتهم الشخصية ... كانت الصور بيضاء تمامًا وهذا جعلني أشعر براحة نسبيًا ... لكنه أثار فضولي أكثر وأكثر وشعرت برعب شديد لكن ما حدث بعد ذلك كان أكثر رعبًا .

بعد انتهاء العمل توجهت إلى منزلي وفي طريق العوده عرجت على البقال العتيق على ناصية الشارع اظن اسمه عم(عريان) رجل في الخمسين من عمره له شعر أبيض كثيف ولحية بيضاء صغيرة وعيون صغيرة سوداء

وكرش عظيم ورث المحل عن أبيه ... صامت لا يتحدث كثيرًا عبوس الوجه وصارم جدًا، لكنه أمين أيضًا ... تتراص صنوف البلوبيف عنده والتونة وزيت الزيتون على رفوف خشبية عتيقة إلى جوار زجاجات المياه الغازية .

جاءني بقطعة جبن معتق لها رائحة السمك المملح، أشار لي بسكينه الطويل وعلى طرفها ندفه من الجبن كي أتذوقها ... إنها رائعة حقًا يا عم عريان أعطيني منها ربع كيلو ... وزوّدني بالجبن الرومي العتيق الذي أعشقة ولم ينس الزيتون الأسود .

كان مشوار البقالة من المشاوير الهامة بالنسبة لي فأنا أحب أن أزود ثلاجتي بمختلف أنواع الجبن والمعلبات ... قطعت الشارع الطويل حتى مدخل المنزل وصعدت الدرج وأول شيئ لاحظته عند دخولي المنزل هو رائحة حريق وكأن هناك شيئ يحرق فوضعت كل ما كان معي على منضده الطعام وظللت أتشمم الرائحة وأنا أبحث عن المصدر، لكني لم أجد شيئاً غير طبيعيًا .

بعد تناول العشاء اتجهت إلى غرفتي ووضعت رأسي على الوسادة وسريعًا ما غصت في نوم عميق.

لم أكن متيقنًا ما الذي أيقظني من النوم هل هو صوت التلفزيون المرتفع أم إضاءة الصالة التي تتسرب إلى غرفتي ... فأنا أعشق النوم

في الظلام التام ... فتحت عيني في تثاقل وغادرت الفراش وأنا أتأفف .. اتجهت إلى الصالة وأغلقت التلفزيون وأغلقت الأضواء كلها وفي طريقي إلى غرفتي سمعت صوت زر الإضاءة فنظرت إلى اليسار في اتجاه المطبخ وجدت الضوء ينبعث من داخله .

في البداية لم أفزع فأنا أعلم جيدًا أن مصباح المطبخ به عطل ما يجعله ينير من وقت إلى آخر من تلقاء نفسه وكنت أنوي إحضار فني الكهرباء لإصلاحه فأنا أخاف من الكهرباء بشدة ولا أنتوي الموت مصعوقًا من الكهرباء ... اتجهت إلى المطبخ وأغلقت النور لكني سمعت شيئاً جعل قلبي يقفز بين ضلوعي ... إنني أسمع صوت التلفزيون ...أنا متأكد أنني أغلقته هذه المرة في البداية عندما استيقظت توهمت أنني نمت وغفلت عن إغلاقه، لكن هذه المرة أنا متأكد تمامًا، وإذا كنت تسكن في الشقة مع عائلتك فلا يوجد مشكلة فمن المؤكد أن أحدهم فتح التلفاز، لكن الوضع معي مختلف تمامًا فأنا أسكن وحدي .

بخطوات ترتعش اتجهت إلى الصالة ووقفت أحملق في شاشه التلفزيون التي كانت تعرض نشرة أخبار ... مددت يدي وهي ترتعش أغلقت التلفزيون وساد الظلام الشقه بأكملها وفي نفس اللحظه التي اظلمت الدنيا كلها سمعت صوت أنفاس! ... أنفاس عالية واضحة، شخص

ما يتنفس بصعوبة، وكأن هناك أحد يجلس فوق صدره وارتفعت أصوات الأنفاس ، إنها تقترب مني.

كانت الأصوات عن يساري والآن أظن أنها تقترب وتقترب وصوت أنين واضح اصبح بالقرب مني الان ... انبعث الضوء من المطبخ يصنع ظلال على الحائط الذي امامي وظهر خيالي على الجدار وبطرف عيني لمحت مشهدًا مرعبًا . مجرد لمحة كان خيالي على الجدار يتحرك الآن نحو اليسار وعندما نظرت نحو الجدار ودققت النظر انتابني الرعب والهلع أظن أنني سوف أبول على نفسي .

أقف أنظر إلى الجدار والخيال يتحرك نحو اليسار حتى خرج من الحائط في بقعة مظلمة تمامًا من المنزل وفي نفس اللحظه التي خرج فيها الخيال من الجدار انقطعت الإضاءه من المطبخ وساد الظلام تمامًا.

اتجهت نحو زر الإضاءه كالمجنون أو الذي أصابه مس كهربائي أتحسس الجدران بحثنا عن زر الإضاءة ، هاهو الزر الملعون أضغط عليه ، اللعنة على تلك المصابيح النيون إنها ترتعش بشده قبل أن تضاء بأكملها وفي لحظات الارتعاش تلك ... رأيت ...لا مستحيل ... هذا جنون ... إنها .. إنها ... ننا..نادية.

نعم هكذا رأيتها أو خُيل لي لم يستغرق الأمر أكثر من ثانية أو ثنيتين قبل أن تغمر الصالة بضوء المصباح النيون، لكنها كانت كفيلة بأنني أراها

أمامي كاملة بشحمها ولحمها ... أقصد لم تكن خيالات كانت تقف أمامي إنها نادية تلك الجثة التي صورتها في صباح هذا اليوم ... الجثة المقتولة مع عائلتها ... جثة تتحرك وتقف أمامي داخل منزلي (ينهار أسود) .

هكذا خاطبت نفسي وأنا أنظر لها والدماء تسيل من عنقها المشقوق ووجهها الشاحب شحوب الموتي وشعرها الأسود ملطخ بالدماء ، لكنها اختفت سريعًا من أمامي بمجرد أن غمر الضوء الصالة كلها .

انكمشت جالسًا فوق الأريكة وركبتاي ملتصقان بصدري ويدي معقودة حولها أنظر حولي كالمجنون وأنفاسي عالية وأشعر ببرد رهيب يجتاح كياني كله ورعشه برد تسير في مؤخرة عنقي حتى أسفل ظهري وتقريبًا توقف جسدي عن العمل.

كنت أرغب في الخروج من المنزل والصراخ، لكنها فضيحة بكل المقايس فماذا سأقول للجيران عندما يلتفون حولي " هناك شبح فتاة في شقتي " من المؤكد سيتهموني بالجنون ويكون مكاني هو مستشفي المجانين . لا يوجد شيئ اسمه أشباح، حاولت الخروج من المنزل لكني فكرت إلى أين سأتجه؟!

إلى من سألجئ ؟ من المستحيل أن أذهب إلى صديقي خالد الآن ....الساعة تتجاوز الثانية عشر بعد متصف الليل وهو رجل متزوج وله أطفال، ماذا أصنع ؟...

انقطعت الإضاءه في المنزل مرة أخرى.

_ يا للتك السودة يا طارق.

هكذا حدثت نفسي قبل أن أتجه إلى زر الكهرباء في الصاله كرجل أصابه الصرع وضعت يدي أتحسس الجدار باحثًا عن مكان الزر... الجدارن باردة كالثلج ونحن في أغسطس، لكن ليس هذا وقت الاندهاش فكل ما يحدث لي لا يصدقه عقل.

وصرخت صرخة مدوية أظن أن سكان الجيزة وساقية مكي استيقظو من نومهم على إثر صرختي وجسدي ينتفض وينتفض، وكأن هناك ماسًا كهربائيًا أصابني.

يد إنسان ... إنها يد إنسان ... أضع يدي على يد رفعية عظمية وأشعر بجلد تلك اليد مترهل رقيق وأنفاس ساخنة مثل لفح النار تضرب وجهي مما يدل على أن صاحب اليد البشرية قريب مني ... اندفعت مبتعدًا وسقط على الأرض واستندت بيدي على الأرض ووقفت وبكل طاقتي، كنت أعدو قاطعًا الصالة إلى غرفة نومي وأغلقت الباب خلفي واستندت بظهري على الباب وأنا أتصبب عرقًا من جبهتي وجسدي تحول إلى قطعة من الثلج ... لحظة أنني أسمع الآن صوت خطوات أقدام.

دبيب خطوات أقدام في الصالة الآن.

أسمعه الآن بوضوح ... إنها خطوات أقدام تدب فوق بلاط الصالة وأنفاس عالية جدًا وصوت حشرجة وكأن صاحبها يختنق ... توقفت خطوات الأقدام .. تنفست الصعداء، لكن الغريب أن الجيران في نوم وثبات تام حتى الآن بعد صرختي المدوية ظننت أن سكان العمارة كلها ستقتحم منزلي بعد تلك الصرخة، لكن لم يحدث شيئ، ثم ما الذي اقترفته حتى يظهر لي هذا الكيان الشيطاني، أنا أتذكر جيدًا أن جدتي قالت لي ذات يوم أن سكب الماء المغلي في الحمام من الممكن أن يؤذي نفرًا من الجن ويخرج لينتقم منك وأنا مؤمن بوجود الجن والملائكة، وأنا لم أسكب أي ماء في الحمام فلماذا يظهر لي هذا الكيان الشيطاني ؟!

لا أظنه شبحًا لأن الأشباح مجرد خيال وأوهام فبمجرد موت الإنسان تصعد الروح إلى ربها وتكون في برزخ الأموات وتنقطع صله المتوفي تمامًا بالدنيا، ولذلك لا توجد أشباح ، لكن ماهذا الكيان الذي يجوب منزلي ويتحرك بكل حرية وكأنه منزله وأنا عاجز لم أستطع أن أدافع عن نفسي.... ماذا يريد مني ؟!

وفجأة أنتفض جسدي رعبًا وكاد أن يتوقف قلبي تمامًا عندما اهتز باب غرفتي هزة عنيفة ، ابتعدت عدة خطوات عن الباب ونظري معلق عليه وبرودة شديدة تجتاحني وقدماي ترتجفان من شدة البرد والرعب والطرق على الباب يعود مرة أخرى أعنف وأشد من ذي قبل ...

شعرت أن الباب سينخلع من مفصلاته من شدة الطرق العنيف عليه وهو يهتز ومن أسفل الباب.. رأيت ما جعلني أبكي في صمت والدموع تنهمر من عيني ودقات قلبي ترتفع وأشعر أن شعر جسدي كله ينتصب أن هناك خلف باب غرفت نومي يقف كائناً له أقدام ماعز! ...

نعم إنني أرى حوافر أقدام ماعز صغيرة أسفل الباب ....

أعلم أن آية الكرسي لها تأثير قوي على الشياطين والجن، هكذا كانت تقول لي جدتي لكن ... لكن لم أتذكر الآية الكريمة وكأنها اختفت تمامًا من ملفات ذاكرتي .

_ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

بدأت تتدفق الآية في ذاكرتي الآن كشلال نهر عذب يتدفق بسرعة من فوق منحدر ضخم ، أتلو الآية في همس وبأنفاس متقطعة مرة ومرتين... توقف الطرق على الباب ، مازال نظري معلق على الباب وصدري يعلو ويهبط والرعب يعربد بداخلي وقلبي يكاد ينفجر من سرعة دقاته .. لا يوجد خيال أحد يظهر من أسفل الباب اقترب من الباب بأنفاس متقطعة وجسد يرتعش وعيون ذائغة أجلس على ركبتي وانحني على الأرض واضعًا خدي على الأرض أنظر من أسفل الباب ... لا أثر لأي مخلوق ... أرفع رأسي وأنظر إلى مقبض الباب وأنا مازلت جالسًا على ركبتي وبيد ترتعش وجسد

ينتفض رعبًا أمد يدي نحو مقبض الباب وأستدير المقبض وأجذب الباب برفق حتى لا يصدر ذلك الصرير المميز عنه، ومن خلال شق بسيط من الباب أمد رأسي أنظر إلى الخارج ... كانت الصالة خالية تمامًا الآن .

بسرعة الريح وقفت على قدمي وفتحت باب غرفتي وانطلقت أعدو بكل طاقتي وكأنني طلقة انطلقت لتوها من فهوة مسدس تعرف جيدًا طريقها، وكالطلقة فتحت باب منزلي وأخذت معي المفاتيح وانطلقت أعدو على السلم، بل أقفز قفزًا حتى وصلت إلى باب العمارة الحديدي وعالجت ريتاج الباب وخرجت إلى الشارع والهواء الساخن يضرب وجهي ... لا أحد في الشارع على الإطلاق حتى الكلاب والقطط اختفت تمامًا والهواء يتلاعب ببعض الأوراق على الأرض ويهز فروع الأشجار، رفعت رأسي إلى السماء أنظر إلى القمر المكتمل والنجوم اللامعة وأغمضت عيني وأخذت نفسًا عميقًا استنشق الهواء الجميل ... في خطوات مرتعشة تقدمت إلى الأمام حتى وصلت إلى الشارع الرئيسي وشعرت بألفة واستأنست بالمارة والسيارات .

بدأت رعشة الرعب تحل عني بشكل نسبي وانتظمت أنفاسي وشعرت أن الدماء عادت تجري في جسدي ووجهي مرة أخرى وأنا أعبر الطريق إلى الجهة الأخرى ووقع بصري على مطعم فول (البغل) هذا اسمه فهو مطعم شهير أظن أن كل سكان فيصل يعرفونه جيدًا، وشعرت بالجوع

فجأة عندما تسربت رائحة البطاطس إلى أنفي، لكني تجاهلت الرائحة تمامًا فهذا ليس وقت الأكل وجلست على مقهى بجور المطعم .

لم يكن هناك روَّاد في المقهى سوى ثلاثة رجال يجلسون على منضدة يلعبون الورق فجلست بالقرب منهم حتى أستأنس بهم وأطلقت بصري نحو الطريق أتابع المارة والسيارت وأفكر في شقتي التي تحولت إلى مرتع للجن والعفاريت .. من أين جاءوا؟! ولماذا شقتي بالتحديد ؟! وكيف سأقضي ليلتي ؟! ألف سؤال وسؤال يدور في رأسي بلا أجوبة، لكن اعتزمت على الجلوس في المقهى حتى الصباح فأظن أن الجن يظهر في المساء فقط ولا خوف من دخول الشقة في الصباح، هكذا خاطبت نفسي ... وقطع حبل أفكاري صبي القهوة فنظرت له بشرود.

_ قهوة زيادة

يجب أن أحتسي القهوة حتى أستيقظ فأنا لم أبرح مكاني هذا حتى الصباح وليحدث ما يحدث ... لكني تذكرت أنني رأيت الفتاة نادية في منزلي وجال بخاطري شيئ مرعب ... هل ما يحدث لي هذا بسبب تصويري لجريمه قتل ؟ لكن لماذا أنا بالتحديد؟ ثم انتابني شعور أن ظهور نادية في منزلي مختلف تمامًا عن الكيان الذي كان يدق على باب غرفة نومي ... إنه مجرد إحساس لا أعلم لماذا شعرت أن نادية شيئ والكيان الذي يدق

على باب غرفة نومي شيئ آخر ... شعور غريب أن نادية كانت ترغب في تحذيري أو إثارة الرعب في نفسي حتى أخرج من المنزل قبل قدوم هذا الكيان الشيطاني ... كانت الأفكار والتحليلات تتدفق في رأسي كشلال منهمر بلا توقف حتى سمعت صوت أذن الفجر ... اتجهت إلى المسجد القريب لصلاة الفجر.... إنني أحرص دائمًا على الصلاة خاصة في مثل هذه الظروف التقرب إلى الله هو الوسيلة الوحيدة للحماية .... أنا لا أخشى الموت لكني أخشى أن يفتن قلبي وأحيا حياة بائسة بعيدًا عن ذكر الله فأموت وأكتشف بعد موتي إنني خسرت دنياي وآخرتي ...

بعد أن انتهيت من صلاة الفجر اتجهت مرة أخرى إلى المقهى لكن لحظات ... أين المقهى ؟! إن كان المقهي مغلقاً فهذا أمر طبيعي وسوف أرى الباب الجرار المعدني، لكن ما رأيته هو مجرد حائط أملس عليه بعض الملصقات ولا أثر للمقهى تمامًا ... تملكتني الحيرة ووقع بصري على شاب يعمل في مطعم (البغل) يقوم بتنظيف أرضية المحل فاتجهت إليه.

_ صباح الخير

فقال دون أن ينظر لي وهو منهمك في مسح الأرض

_ لسه ماشتغلناش ... نص ساعة ونشتغل إن شاء الله

_ لا أنا بسأل عن المقهى اللي جنبك

توقف الشاب عن مسح الأرض والتفت ونظر نحوي وقال:

_ أنهي قهوة ؟

_ المقهى اللي كانت جنبك هنا أنا كنت قاعد عليها من شوية

فنظر لي بتعجب وقال:

_ أنا شغال هنا بقالي سبع سنين وعمري ما شوفت مقهى جنبي

شعرت وكأن هناك ماءً مثلجًا ينساب فوق رأسي وإن قلبي سقط بين قدمي

_ إزاي ؟ كان في مقهى هنا.

_ ياعم روح الله يسهلك ... بطلوا اللي بتشربوه ده .. كتكم القرف على الصبح أشكال وسخة.

انتابتني حاله من الغضب بسبب كلام هذا الشاب، لكن معه عذره ظن أنني أتناول المخدرات أو العقاقير المهلوسة ... وشعرت أنني أسقط في دوامة أو في بئر سحيق مظلم أسود بارد لا قرار له .

على قارعة الطريق وقفت بجلبابي الأبيض وشعري المنكوش وملامح الرعب والفزع ترتسم على وجهي كمجاذيب السيدة وحاولت تشجيع نفسي أكثر من مرة للصعود إلى شقتي لكني لم أمتلك الشجاعة وانتظرت حتى أشرقت الشمس بنورها.

صعدت إلى شقتي في الطابق الرابع وكلي طمأنينه فأنا متأكد أن الجن

لا يظهر إلا مع حلول الظلام، أمَّا في النهار لا يوجد جن أو عفاريت لذلك انطلقت إلى شقتي واجتاحتني رغبة عارمة في الاستحمام بماء مثلج لعلي أغسل عن جسدي آثار تلك الليلة الرهيبة التي عشتها وقررت أن لا أقص على أحد ما حدث لي خاصة صديقي خالد فهو يعد نفسه المسؤل عني بعد وفاة أبي وأمي رغم أنه صديقي وفي نفس سني لكنه ينطلق كأي أم مصرية أصيلة بالنصائح عند حدوث أي مكروه ويقول:

_ يابني اتجوز ... شوفلك عروسة حلوة بنت ناس تاخد بالها منك وتراعيك بدل ما انت عررنا كده ... البت اللي تعنس بيكون غصب عنها مالهاش خطاب إنما الراجل لما يفوته قطر الجواز بيكون معيوب وأكيد اترفض من كذا بيت .. دا غير الإشاعات اللي هتطلع عليك .. اللي هيقول دا ملوش في الجواز واللي يقول دا حشاش .. ولا انت مالكش في الجواز بصحيح .. طمني عمود الكردان أخباره إيه؟

مستحيل أن يعرف خالد أي شيئ عما حدث أنا لم أتحمل جلسه نصائح منه وبالطبع يجب أن أبحث عن سكن جديد لن أتحمل النوم في الشوارع وقضاء الليل كله على أرصفه الطرقات.

دلفت إلى الحمام وظللت أغسل جسدي كله بالصابون خاصة يدي

التي لمست اليد العظمية وكأنني أرغب في أن أزيل آثار الشعور بها من فوق جلدي ... وقررت أن أذهب إلى أم نادية لمعرفة ما حدث لها لعلي أعرف سبب حدوث ذلك كله لي .

خرجت من الحمام واتجهت إلى غرفتي وارتديت قميصًا أبيض وبنطالون من الجينز وأخذت حقيبتي بعد أن تأكدت من وجود الكاميرا والعدسات بداخلها وبحثت عن هاتفي المحمول حتى عثرت عليه أسفل الأريكة ... وخرجت من المنزل إلى الشارع وتلقيت مكالمة هاتفية عجيبة من خالد.

_ صابحك زي وشك لو ضيعت صورة الواد.

_ الناس بتقول صباح الخير الأول ... واد مين اللي إنت عايز صورته

جاء صوت خالد عبر الهاتف منزعج ومتوتر وهو يقول:

_ الواد القاتل اللي الحكومه لقيته مرمي في شقه نادية الفولي

تذكرت أنني صورت القاتل بهاتفي المحمول أثناء صعوده إلى سيارة الشرطة وفتحت استوديو الصور على هاتفي وبحثت عنها حتى عثرت عليها وارتسم على وجهي شبح ابتسامة فبهذه الصورة أسترد جزءًا من كرامتي أمام الأستاذ محمد العباسي رئيس قسم التصوير بالجريدة، فأنا المصور الوحيد الذي نجح في تصوير القاتل .. فقلت لخالد عبر الهاتف.

_ ماتخفش معايا.

_ طب حافظ عليها زي عينك لحد لما نتقابل ولا أقول لك أبعت لي الصورة على الواتس أضمن.

_ اشمعنا.

_ الواد مات في الحجز ومالوش جثة

_ مات ؟ إزاي ؟ ويعني إيه مالوش جثة ؟ أمال جثته راحت فين ؟

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل الثالث

توقفت السيارة الأجرة التي استقليتها أمام قسم شرطه الهرم ونفحت السائق ورقة مالية فئة الخمسون جنيهًا واندفعت اعدو بكل طاقتي وأنا أحمل حقيبتي في يدي نحو بوابه القسم لأجد صديقي خالد يقف على الباب بقوامه الممشوق الرياضي وملامحه الطفولية التي لا تنم عن أي شيئ فخالد من المحال أن يظهر على وجه أي تعبير يوحي بالغضب أو السعاده أو أي تعبير يعكس ما يشعر به لكن نبرات صوته دائمًا تفضحه... اقتربت منه وقلت:

_ صابح الخير يا خالد ... إيه اللي حصل

_ بيقولو الواد انفجر في الحجز وكأن في قنبلة انفجرت فيه هو وبس

نظرت نحو باب القسم في توتر كنت أتوقع أن يكون اشتبك في عراك مع أحد المساجين وقتله لكن ما يقوله خالد يضع علامة استفهام كبيرة بجور علامات الاستفهام الأخرى حول تلك القضية الغامضة والغريبة ... أخذت نفسًا عميقًا وقلت لخالد قبل أن أدلف إلى الداخل:

_ استني انت هنا هاحول أصور المشهد جوه

قبض على خالد من زراعي وقال:

_ مستحيل الدنيا مقلوبة جوه ووكيل النيابة على وصول

نظرت له وابتسمت.

_ انت ناسي إننا السهم

دلفت إلى القسم وقطعت تلك الطرقة الكبيرة ثم انعطفت نحو اليسار في أخر الردهة كان يقبع الحجز وفور وصولي إلى هناك رأيت المساجين كلهم يقفون صفًا واحدًا ومن حولهم أمناء الشرطة والضباط ورئيس المباحث الذي صرخ فيهم وقال:

_ انطق ياد إنت وهو يابن الـ (...) مين اللي عمل كده

فقال أحد المساجين:

_ والله يا باشا مانعرف ... الواد ده من ساعة مادخل وهو غريب ومش على بعضه

فقال الضابط:

_ يعني إيه ... كان مبرشم (يتناول عقاقير مخدرة)

فقال أحد المساجين:

_ لا يا باشا كانت عينة سودا بس الأبيض اللي في العين ده مش موجود وعمال يتكالم بطريقة غريبة محدش فاهمه وبيكلم ناس مش موجودة وفجأة لقينها بيصرخ ومرعوب وانفجر .. طرشق

وتلقا المسجون صفعة قوية على قفاه من أمين الشرطة وصاح فيه أحد الضباط:

_ انت هتستهبل يا روح أمك ... انفجر لوحده ليه كان ضارب قنبلة

وصاح رئيس المباحث:

_ فتشولي ولاد الكلب دول

بدأ الأمناء في صفع المساجين وقال أمين الشرطه:

_ اقلع ياد انت وهو ... اقلع دا يومك مش معدي النهاردة

وصاح آخر:

_ اقلع يا روح أمك ... اقلع البنطالون وانت كمان اقلع .

بدأت المساجين في خلع ملابسهم إلا ما يستر العورة للتفتيش والبحث عن أي أده للجريمه ولاحظت انشغال الجميع بتفتيش المساجين وكانت غرفة الحجز مفتوحة والمساجين كلهم يقفون أمام الباب فتقدمت بخطوات خفيفة دون أن يشعر احد وأخرجت هاتفي المحول وفتحت الكاميرا ووقفت خلف أحد الأمناء ومن خلفي باب الحجز ومدت يدي التي تحمل الهاتف برفق ودون أن أنظر خلفي والتقطت عدة صور للزنزانة وشعر بي أحد الأمناء ونظر في عيني وقال:

_ إنت بتعمل إيه هنا .. اطلع برا ...برا

انصرفت من أمام الأمين وانطلقت كالسهم وخرجت من القسم لأجد صديقي في انتظاري فابتسمت له وجلسنا في سيارته نشاهد الصور معًا بعد أن أرسلتها له عبر تطبيق الواتساب .

كانت الفوضى والدماء في كل مكان داخل الزنزانة... الدماء كانت تلمئ الجدران وعلى الأرض وفي زاوية بعيدة كانت ساق الشاب تقبع هناك وبعض من أحشائه تتناثر في كل مكان وأطرافه الأربعة هنا وهناك داخل تلك الغرفة التي أصبحت قبر له .

_ منظر بشع... بس عفارم عليك يا طارق إنك عرفت تصور الزنزانة إحنا كده الجريدة الوحيدة اللي معاها صورة القاتل وصورته وهو ميت.

_ ماظنش أن الواد ده هو اللي قتل العيلة

نظر لي خالد في تعجب، وقال:

_ أمال مين اللي قتلهم ... ؟!

_ اللي قتل الواد ده هو اللي قتل العيلة

_ عروستي ؟! مش فاهم

_ أنا هروح مشوار وانت أبعت الصور دي للجريدة وهبقي أفهمك بعدين

_ خلاص نسهر سوا النهاردة ... مراتي والعيال هيروحوا عند حماتي هجيلك بالليل وهجيب معايا عشا وفيلم رعب حلو .

في خِضم تلك الأحداث نسيت تمامًا أمر الشقة وما حدث لي فهيا وغادرت سيارة صديقي واستوقفت سيارة أجرة وانطلقت إلى مستشفي أم المصرين ...كنت أرغب في الحديث مع السيدة روحية ... كان يجب عليَّ أن أفهم ما يحدث وشعور داخلي يؤكد لي أنني أصبحت مرتبطًا بتلك القضية بشكل ما أو بآخر ....

تمنيت من داخلي وأنا أصعد الدرج داخل المستشفي أن تكون السيدة روحية استعادت ولو جزء بسيط من نشاطها الذهني حتى أستطيع أن أفهم منها ما حدث بالضبط .. دلفت إلى عنبر النساء واتجهت إلى أخر العنبر حيث ترقد السيدة روحية على الفراش في أخر العنبر فنظرت لي وابتسمت فور رؤيتها لي وقالت:

_ أنا شفتك قبل كده! وشك مش غريب عليّا ؟!

ابتسمت وأنا أحمد الله في سري إنها استعادت نشاط زهنها وجلست على طرف الفراش بجوارها وأنا أنظر لها وقلت:

_ أنا طارق زياد مصور صحفي وكنت هنا إمبارح في زيارة أنا وصديقي خالد المحرر ... معايا في نفس الجريدة.

_ أه افتكرتك ...

_ البقاء لله أولاً ..

_ تقصد في مين يا بني ؟

شعرت بالحرج أظن أن السيدة لا تعلم بموت العائلة وحاولت تغير دفة الحديث، لكن لم أجد بديلاً فقالت لي ووجهها يشع نورًا وعليه شبه ابتسامة رضا:

_ تقصد جوزي وولادي وبنتي ومرات ابني وعياله ... أنا ست مؤمنه يابني كل شيئ مقدر ومكتوب.

_ ونعم بالله ... بس أنا محتاج أفهم إيه اللي حصل

تنهدت السيدة ونظرت لي طويلاً قبل أن تقول:

_ دي حكايه طويلة جدًا يا بني ليها جذور ولازم تسمعها من البداية وماظنش إنك هتصدق حرف واحد منها.

ارتسمت على وجهي نصف ابتسامة تنم عن السخريه وقلت:

_ بعد اللي حصل معايا إمبارح واللي شفته هصدق أي حاجة ..

قالت السيدة:

_ إحنا عيلة عادية جدًا زي أي عيلة مصرية، جوزي محمد الفولي ورث البيت عن أبوه واتجوزت في البيت ده واخواته عايشين معانا في نفس البيت وبنينا كام دور بعد كده لما العيال كبرت وحبت تتجوز، أنا عندي عماد الصغير في أخر سنة في كلية هندسة، ونادية الوسطنية

خريجة خدمة اجتماعية وبتشتغل في مدرسة أم الأبطال الثانوية إخصائية اجتماعية وابني الكبير محمود بيشتغل مهندس في شركة مقاولات كبيرة ومشهورة واتجوز من كام سنة وعاش في الشقة اللي قصادنا هو ومراته وربنا كرمه بعد كده بعيلين زي الفل وشاطرين في المدارس، وجوزي كان بيشتغل مدير حسابات في نفس شركه المقاولات اللي بيشتغل فيها محمود ماهو أبوه هو اللي عينه بعد ما اتخرج لكن هو اجتهد وبشطارته بقى ليه مكان وسط زمايله وأنا كنت وكيلة مدرسة ثانوي خرجت معاش مبكر لما نادية اتخطبت عشان أعرف أجهزها أصل نادية دي من صغرها وهي زي فلقة القمر كان بيجلها عرسان يتقدمولها من وهي بنت ١٤ سنه أصل عودها كان فاير، حتى الأستاذ توفيق صاحب الحاج محمد كان عايز يخودها لابنه الكبير وتسافر معاه دبي أصله بيشتغل هناك في شركة كبيرة، لكن أبوها رفض وصمم أن بنته تخلص الجامعة الأول وصحبه زعل منه واعتبره بيرفض ابنه وكانت القطيعة.

وأبوها سك على موضوع العرسان ده خالص من يومها وأي حد يتقدم لها كان يرفضه من قبل ما يدخل البيت حتى الواد ناصر سواق التكتوك اتجنن في عقله في مرة من المرات وجيه البيت عشان يتقدم لها وطبعًا الحاج محمد بهدل الواد وطرده من البيت مش عشان الواد فقير

لا، عشان كان تاجر حشيش ومعروف في المنطقة لحد ما اتخرجت نادية من الجامعة واشتغلت اتقدم لها ابن واحدة صاحبتي كانت زميلتي في المدرسة وابنها اسمه أدهم بيشتغل ضابط جيش سلاح المدفعية ووافقنا عليه وبدأت أجهز البت وكان خلاص فاضل يجي شهرين تلاته على فرحها لحد اليوم المشؤم اللي بدأ فيه الرعب كله وحياتنا اتقلبت ... شفنا الرعب واتبهدلنا ... يوم ١١ فبراير .. عمري ماهنسا اليوم ده أبدًا .. عشان بسببه حياتنا اتقلبت والبت اتبدلت.

توقفت السيدة روحية عن الكلام عندما سمعت صوت نسائي يقول لي:

_ إنت بتعمل إيه هنا يا أستاذ ؟

نظرت خلفي بعد أن وقفت على قدمي لأجد ممرضة قصيرة القامة نحيلة لها ملامح حادة فاعتذرت وقلت:

_ أسف خمس دقائق وهمشي على طول .

ونظرت مرة أخرى إلى السيدة روحية التي ترقد في الفراش، لكن تملكني العجب كل العجب عندما نظرت نحو الفراش كان خاليًا تمامًا لا يوجد أحد به على الإطلاق وكأنه لم يلمسه جسد إنسان، فنظرت إلى الممرضة وملامح الرعب بدأت ترتسم على وجهي وقلت وأنا أشير نحو فراش السيدة روحية:

_ هي الست اللي كانت هنا راحت فين ؟

قالت الممرضه وهي تهم بالانصراف:

_ أه تقصد الست روحية ... الله يرحمها ماتت إمبارح العصر وأهل جوزها استلموها.

انتفض جسدي وشعرت بقشعريرة تسري في عمودي الفقري وكأن هناك طيارًا كهربائيًا يسري في جسدي كله ... أنا كنت أتحدث مع شبح السيدة؟! ... وشعرت أن الأصوات كلها اختفت من أذني وأنا أنظر إلى الفراش الذي كانت ترقد عليها السيدة منذ قليل، صارت قشعريرة في بديني كله من منبت شعري حتى اغمص قدماي وفي خطوات بطيئة مترنحة وكأن هناك هراوة ضربتني على أم رأسي تحركت نحو باب العنبر وأنا أشعر بدوار عنيف ورغبة قوية في البكاء والصراخ أنا كنت أجلس أتحدث مع شبح ... أظن أنني الآن أصبحت أصدق في وجود الأشباح ...

كنت أجوب الشوارع هائمًا على وجهي لا أعرف إلى أين أتجه أو ماذا أفعل فأنا بالأمس القريب رأيت شبح نادية المقتولة في منزلي وجلست على مقهى لا وجود له والأن أنا كنت اتحدث مع سيده ماتت ليله امس من المؤكد انني على مشارف الجنون... اظن انها ماتت بعد أن غادرت المستشفي أنا وخالد بعدة ساعات .... جلست على مقهى حتى أهدء وأستطيع أن أجمع

شتات نفسي وأتخذ قراري... بعد أن شربت القهوه قررت أن أتحدث مع الأستاذ حاتم شقيق محمد الفولي وانطلقت إلى منزله .

غادرت السيارة الأجرة بعد أن توقفت بي أمام منزل محمد الفولي في المريوطية ونظرت إلى المنزل وشعرت بكآبة تجتاح كياني ورجفة رعب تضرب أوصالي .. كان المنزل رماديًا كئيبًا بنوافذه المغلقة وشبح الموت يخيم على المبنى كله وكأن المبنى القابع أمامي وحش عملاق ينظر لي ويرغب في أن يفترسني، لماذا شعرت أن المنزل حي وينبض ويشعر بي وبخوفي تجاهه .

هذا كان شعوري نحو المنزل الذي وقفت أمامه ... اتجهت إلى مدخل العمارة وعندما دلفت ضربت أنفي رائحة عطن وعفن رهيبه ممزوجة برائحة بخور غريبة نفاذة وشعرت أنني أرغب في أن أتقيئ كل ما في جوفي ... لكني تمالكت نفسي على كل حال وصعدت الدرج حتى الطابق الثاني ووجدت لافتة على باب الشقة مكتوب عليها:

" حاتم الفولي مدير بنك " وشعرت بانقباضة في صدري لا أعرف سببها ورغبة قوية بداخلي في الانصراف أو الهرب من هذا المكان لكني قاومت هذا الإحساس ضربت جرس الشقة وانتظرت لحظات .. كان الصمت والسكون هو سيد الموقف ولم أشعر بأي حركه داخل الشقة

وانفتح الباب فجأة وبقوة وبدون أي مقدمات فتراجعت عده خطوات إلى الخلف وأنا أشعر أن الدم هرب مني بسبب المفاجأة وظهر على الباب فتاة ترتدي منامة حريرية صفراء ولها شعر أسود كثيف وعيون سوداء في ظلمه الليل وطابع الحسن يزين وجهها .. في العشرين من عمرها تقف مستندة بكتفها على الباب وتلوك شيئاً ما في فمها ومدت يدها تداعب خصلة من شعرها ونظرت لي بعيون قارحة وقالت:

_ إنت عايز مين ؟

_ مش دي شقه الأستاذ حاتم

_ أيوه نقوله مين ؟

_ أنا طارق زياد مصور صحفي وكنت عايز أتكلم معاه

تأففت ونفخت بقوة وظهر على وجهها الامتعاض وهي تقول:

_ مش هنخلص بقا من حكاية البت المقتولة دي ؟

انصرفت إلى الداخل وأغلقت الباب في وجهي ووقفت في حاله ذهول لا أدري ماذا أفعل فأنا لم أتعرض لموقف مثل هذا من قبل، هل يجب عليَّ أن أدق الجرس مرة أخرى أم أنصرف ... وانفتح الباب مرة أخرى وخرج لي رجل مثل الخرتيت أصلع يتجاوز طوله المترين له كرش عظيم يرتدي بنطالون من القماش أبيض اللون

(وفانله حملات) ينظر لي والشرر يتطاير من عينه وبصوت غليظ أجش قال:

_ اسمع يا أستاذ، أخويا وعياله ماتوا خلاص وعملنا العزا وقمنا بالواجب وزيادة واستحملنا قرف البت نادية دي أكتر من سنتين ... كفايةٍ فضايح لحد كده اتفضل من غير مطرود ... مش عايزين صحفيين تاني.

وأغلق الباب في وجهي دون أن يترك لي مجال للكلام أو أن أشرح له.. يالها من صاعقة وموقف لا أحسد عليه تحركت عده خطوات وهبطت عدة درجات على السلم في طريقي إلى أسفل عندما سمعت صوت باب شقة ينفتح ...إن هذا الخرتيت خرج مرة أخرى ليتشاجر معي... فقررت الهرب من أمامه ... مستحيل أن أواجه مثل هذا الكائن مرة أخرى وهبطت عدة درجات مسرعًا هربًا منه قبل أن أسمع صوت مختلف تمامًا عن صوت الخرتيت الغليظ.

_ يا أستاذ ... يا أستاذ طارق

توقفت عن الركض على السلم واستندت على ترابزين السلم ورفعت رأسي إلى أعلى ورأيت وجه شاب أظن أنه في الثلاثين من عمره، خمري البشره له صوت هادئ وملامح تحمل الكثيرمن الحزن فأشار لي بالصعود... شيئ ما في ملامح هذا الشاب تبث الطمأنينه في نفسك وتشعرك براحة

غير عادية ... صعدت الدرج مرة أخرى ووقفت أمام الشاب الذي كان يقف أمام باب شقته المقابله لشقة حاتم الفولي رحب بي ودعاني للدخول.

رغبتي في معرفة ماحدث لنادية وعائلتها فاقت كل الوصف والطمأنينة التي تشع من وجه هذا الشاب شعجتني على دخول ... كان منزله أنيقاً جدًا .. السجاد الوثير على الأرض والتحف والانتيكات في كل مكان والفرش أيضًا كان كلاسيك وألوان المنزل مبهجة .. المنزل به طاقة غريبة يجعلك تشعر بالطمأنينة والراحة والسكينة،

وكأنك في منزلك تمامًا ... فقال لي الشاب وهو يقودني إلى غرفة الجلوس:

_ ياريت ما تزعلش من تصرف والدي هو أكيد مش قصده.

إذن أنت ابن هذا الخرتيت الهمجي ... لكن كيف ينجب مثل هذا الكائن شاب مثلك رقيق ومهذب، لكني على كل حال لن أصارحه بما يجول في خاطري واكتفيت بقولي:

_ أنا عارف الظروف اللي انتو فيها ... كان الله في العون

تقدم الشاب ودلف إلى غرفة أظنها غرفة الصالون وجلست على أقرب مقعد وجلس بجواري وقال:

_ أنا عرفت اسم حضرتك وانت بتقدم نفسك لأختي الصغيره أنا ممدوح حاتم الفولي.

_ أهلا وسهلاً يا أستاذ ممدوح .. أنا طبعًا آسف جدًا إني جيت في وقت زي ده لكن كان عندي شوية أسئلة مهم جدًا إني أعرفها.

فقال الفتي بحماس :

_ وأنا عندي كلام كتير عايز أحكيلك عنه ... اللي حصل لازم يتعرف أنا من ساعة اللي حصل وعايز أتكلم مع أي صحفي عشان أحكي له، لكن والدي مانعنا من الكلام وبيطرد أي صحفي يحاول إنه يتكلم معنا.

نظرت له وقلت:

_ اتفضل اتكلم يا أستاذ ممدوح أنا سمعك.

_ قولي كنت عايز تسأل عن إيه ؟

_ عن اللي حصل كنت محتاج أفهم كل حاجة عن الحادثة

_ الأول تشرب إيه ؟

_ ألف شكر ولا حاجة

_ الكلام اللي هقوله ماظنش إنه يفيد التحقيقات في حاجة، لكن أنا حابب إن الناس كلها تعرف حقيقة اللي حصل لبنت عمي وعايزك توعدني إنك تنشر كل اللي هقوله يمكن في ناس تتعظ من اللي حصل وتخلي بالها بعد كده.

_ أنا مش صحفي، أنا مصور صحفي لكن أوعدك إني أخلي محرر صحفي من الجريدة ينشره، اتفضل أنا أسمعك.

امتدت الجلسه بيننا قرابة خمس ساعات كاملة وهو يقص لي أدق التفاصيل وماحدث لهم جميعًا وبعد أن انتهي كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف وانصرفت من عند الأستاذ ممدوح ورأسي مملوء بأغرب القصص التي سمعتها في حياتي ... مساكين جدًا عانوا كثيرًا ... دخلت منزلي في تمام الساعة الحادية عشر وأخذت حمامًا باردًا أنعشني، ثم سمعت جرس باب الشقة فتذكرت موعد صديقي خالد فقد نسيت الموعد تمامًا وسط أحداث اليوم... ففتحت الباب ودلف خالد ومعه عشاءً فاخرًا ووضعه على المنضده وقال :

_ جبتلك عشا إنما إيه معتبر ياواد يا طارق .... شوية ممبار ولحمه راس عجب هات كوبيات عشان الببسي.

دلفت إلى المطبخ وأحضرت أكواب ومكعبات الثلج وقلت له وأنا في طريقي إلى الصالة:

_ جبت لنا معاك فيلم نتفرج عليه.

_ طبعًا أقوى أفلام الرعب ... إلا بالحق إنت كنت فين طول النهار ماشفتكش في الجريدة يعني.

_ كنت عند الأستاذ ممدوح الفولي وعرفت منه كل حاجة عن جريمة القتل.

توقف خالد عن المضغ وجلس على المقعد وكأنه جزع نخلة يسقط،

ثم قال وهو ينظر نحوي:

_ حكاية إيه اللي عرفتها؟ وعرفتها إزاي؟!

_ دي حكايةة كبيرة اسمع يا سيدي.

وبدأت أقص عليه ما رواه لي شاهد العيان على الحادث الأستاذ ممدوح الفولي بكل التفاصيل دون أن أنسى تفصيلة واحدة.

الفصل الرابع

تقلبت السيدة روحية تحت الأغطية مستشعرة ببروده تجتاح ظهرها... كانت في حاله بين النوم واليقظة عندما مدت يدها تتحسس جسد زوجها النائم إلى جوارها شعرت بلسعة الصقيع وهي نائمة والساعة الآن الثانية والنصف صباحًا والبرودة تغلف أحلامها والظلام والسكون يعم البيت كله وجميع من في المنزل في نوم عميق والرياح تعوي في الخارج كالذئاب الجائعة يصدر عنها صفير حاد ومخيف رفعت بتلقائيه طرف الغطاء ونشرته مرة أخرى ليشمل جسد الزوج النائم وجسدها أيضًا .

انتابها الجزع وقامت نصف جالسة على فراشها وهي تسمع صوت أنين مكتوم وأهات وكأن هناك أحد يتعزب.... كان الصوت يأتي من غرفة ابنتها .. هرعت لنجده ابنتها وخرجت من الغرفة لتجد الشقه غارقة في الظلام والبرد يعلن عن صموده أمام التدفئة النسبية للشقة ثم ..ثم تناهي إلى سمعها صوت أشبه بالصفعات يأتي من غرفة ابنتها المجاورة لغرفة نومها .

صوت صفعات قوية

ذعرت أكثر

مستحيل أن يكون هناك أحد في غرفة ابنتها ويضربها بكل هذه القسوة خاصة إنها ألقت نظرة إلى غرفة ابنها عماد ووجدته نائمًا في فراشه.

إذن من يضرب نادية ؟

اقتربت من غرفة نادية

الباب كان مواربًا غير مغلق

وقفت أمام الباب كتمثال من الحجر لا تستيطع الحركة أو التفكير وهي تسمع صوت بكاء خافت وصفعات قوية والجو ينذر بصقيع يجمد نخاعها داخل عظامها ويورثها رعشه إجبارية اجتاحتها فعلاً ومدت أصابع مرتعشة لتدفع الباب برفق ونظرت داخل الغرفة لكن فراش نادية كان خاليًا لا يكثوا فوقه جسد الفتاة أين ذهبت ابنتها إذن؟!

هي تسمع صوتها ؟!

مدت يد ترتعش أوسعت شق الباب أكثر لتكشف باقي مساحة الغرفة، لكنها لم ترى أحد ... فتحت الباب في بطئ وحذر حسبتها دهرًا لن يمر ليخترق عيناها مشهد لم تستعوبه أولا ولن تنساه أبدًا .. فأمام الدولاب وعلى الجهة الأخرى من الحائط كانت تقف نادية وظهرها ملتسق بالجدار ومرتفعة عن الأرض مسافة متر كامل ويدها ممدوده لي جوارها لصق الحائط وتتلقي صفعات قوية على وجهها من شيئ ما خفي

هي لم تراه وثوب ابنتها تمزق بعنف من تلقاء نفسه وكأن هناك أحد يمزقه لها ليكشف عن نهديها ويظهر على وجهها أثر خرابيش غائرة .....

أطلقت روحية صرخة فزع مدوية استيقظ على إثرها أهل المنزل جميعًا وفي لحظات كان الأب محمد وابنها الصغير الذي لم يتجاوز عمره التاسعة عشر عام يقفوا بجوارها أمام باب الغرفة ينظرون إلى نادية وهي على هذا الحال والدم تجمد في عروقهم وانشل تفكيرهم للحظات فاندفع عماد لنجدة شقيقته وقبل أن يقترب من الباب انغلق الباب في وجهه بقوة من تلقاء نفسه وكأن هناك قوة شيطانية أغلقته في وجهه وارتفع صراخ نادية أكثر وأكثر ..

كثور هائج اندفع الأب نحو باب الغرفة وقبض على مقبض الباب ودفع الباب بقوة لفتحه ونجدة ابنته، لكن الباب كان موصدًا بقوة شيطانية لن يقدر عليها بشري حتى وإن كان طوله يتجاوز المترين مثل الأستاذ محمد فهو رجل ضخم الجثة عريض المنكبين له سواعد كالجبال الرواسي وساقين كشجر البلوط ... اندفع عماد لمعاونة أبيه في فتح الباب وأخذو يدفعون الباب بكل قوه وعنف وهم يسمعون صراخ نادية من الداخل والأم تحاول التواصل مع ابنتها من خارج الغرفة وتقول:

_ ماتخفيش ياحبيبتي أنا جنبك ... ماتخفيش يابت

صراخ وصفعات وبكاء حار وكأن من بالداخل يعزب أو يتم سلخ جدله... لم تتحمل الأم محاولات الأب والابن الفاشله في فتح الباب وانهارت تمامًا وصرخت في وجههم.

_ اعملو حاجة... افتحوا الباب... افتحوالباب

أزاح الحاج محمد ابنه ليبتعد عن الباب وتراجع عدة خطوات للخلف وبكل عزم وقوة دفع الباب بقدمه دفعة قوية ... فسقط الباب على الأرض صريعًا مهزومًا مدحورًا أمام قوته ... سقط الباب كجثة هامدة ليكشف عما بداخل الغرفة.....

وقف الجميع أمام باب الغرفة والرعب والفزع على وجههم في حالة صدمة مما وقع عليه أبصارهم ... فكانت نادية على الأرض شبه عارية ... ممزقه الثياب تتلوى على الأرض كالدوده وهي تصرخ وتتألم وصوت صفعات قويه تنهال عليها لكن الصفعات تأتي من قوه خفية غير مرئيه ... اندفعت الأم نحو ابنتها وجلست على ركبيتها وألقت بجسدها نحو أبتنها تحميها من تلك القوة الشيطانية الخفية التي تلقنها درسًا وتعاقبها على جرم لم ترتكبه ...

سحب الأب الأغطية من فوق الفراش واتجه نحو ابنته وحاول عبثا أن يضع الأغطيه عليها،/ لكن الأم أخذت منه الأغطية ووضعتها على جسد ابنتها التي بدأت تهدأ نسبيا مع استمرار البكاء بصوت خافت ...

انتفض جسد الجميع رعبا وهلعا عندما انفجر زجاج نافذة الغرفة واستدار الجميع نحو النافذة وهم يصرخون ويضعون أيديهم على أعينهم ووجوههم ليحمون أنفسهم من الزجاج المتطاير والرياح تضرب وجوههم بقوة وعنف وموجه من البرد القارس تضرب أجسادهم ليتجمد عظامهم وترتعش مفاصلهم ليعلن السقيع انتصاره على تلك الأجساد البشرية الهزيلة الضعيفة أمام غزواته ... استدار الجميع معا في نفس اللحظه ينظرون نحو الباب الذي انغلق بقوة وعنف منذرا عن غضب وشراسة....

مازالت نادية على الأرض ترتعش وتبكي في خفوت وعليها الأغطية والأم تحتضن ابنتها في جزع والأب يقف بجوار ابنه عماد ينظر إلى الباب الذي عاد سليمًا مرة أخرى بعد أن كان على الأرض مهزوما مدحورا تحت قوة محمد الفولي ..بل والأدهي أن الباب لم يظهر عليه أي أثر للكسر أو الخدش ...

اهتز سرير نادية بعنف ثلاث هزات متتالية فقبض الأب على ذراع زوجته ورفعها إلى الأعلى حتى تقف والتي بدورها رفعت ابنتها التي وقفت على قدميها وهي تستند على زراع روحية ودفعهم الأب ليقف الجميع خلف ظهره في مواجهة السرير الذي بدأ يتحرك بعنف وشراسة ويهتز .

انفجرت مرايا التسريحة في توقيت وتزامن مع انفجار مرايا الدولاب الكبيرة وانفجار لمبات الكهرباء في الغرفة وتتطاير الزجاج في كل مكان

مما دفع الجميع للجلوس على الأرض لحماية أنفسهم من الزجاج المتطاير الذي صاحبه هزة عنيفة لكل أثاث الغرفة وظل الاهتزاز لمدة دقيقة كاملة وروحية تصرخ وتستغيث بالله وعماد يقرأ ما تيسر له من القرآن الكريم والأب يستعيذ بالله من همزات الشياطين وهو يحتضن أبناءه وزوجته...

لحظات مرت عليهم كدهر ظنوا أنها لن تنتهي، لكن الهدوء ساد المكان مرة أخرى وفتحوا أعينهم ووقفوا على أقدامهم ينظرون حولهم والدهشه ترتسم على وجوه الجميع وهم ينظورن إلى الغرفة التي عادت كما كانت فلا زجاج نافذة مكسور ولا مرايا مكسورة ولا أثر لوجود أي شيئ في الغرفة غير طبيعي ...مشهد مرعب لن ينساه أحد أبدًا لكن ماحدث بعد ذلك كان أكثر رعبًا ...

انقلبت حياة نادية رأس على عقب وتحولت من زهرة يافعة إلى شبح يجلس وسط العائله بعيون زجاجية خاوية لا روح فيها صامته وشاردة أغلب الوقت لا تتحدث مع أحد تجلس في غرفتها أغلب الوقت وتشعر دائمًا بالإرهاق والتعب ورغبه قوية تجتاحها في النوم .. حتى أنها تقضي نصف يومها في نوم عميق وثبات كالأموات ومن حين إلى آخر كانت تصرخ في الليل مفزوعة ولا تهدأ حتى تبدأ الأم في قراءة القرآن لها وهي تملس على شعرها الأسود الناعم المنسدل على كتفيها ومع مرور الوقت أصبحت

سوره البقره وأيات الرقية الشرعية لا تنقطع من المنزل دائمًا وباستمرار كان جهاز الكمبيوتر والسماعت يخرج منها صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمت وهو يقراء سوره البقرة وكانت الآيات لها مفعول شافي أو هاكذا حسبوا لان نادية هداءت كثيرا واصبحت لا تصرخ في الليل ولم تحاول الانتحار مرة أخرى وإن ظلت جليسة الفراش ساهمة تنظر إلى الموجودات بعيون خالية زجاجية مما دفع الأم إلى الانشغال بعمل المنزل فكانت نادية تحمل عن أمها كل العمل تقريبًا فهي من تطهو الطعام وتقوم بشراء المستلزمات من السوق وتقوم بغسل الملابس لكن بعد ما حدث لها انخرطت الأم في عمل المنزل مرة أخرى مع مراعاة ابنتها التي أصبحت طريحة الفراش وخسرت نصف وزنها تقريبا.

انقطعت نادية عن العمل بطبيعة الحال وكثيرا ما كان يأتي زميلاتها في العمل لزيارتها لكن الأم كانت تعتذر لهم وتقول: أنها في الأسكندريه عند خالتها هكذا كانت تقول لكل من يسأل عنها حتى يتمم الله شفائها على خير خشية الفضيحة وسوء سمعة ابنتها، وكانت أكثر ما تخشاه الأم هو وصول أي كلمه عن نادية لخطيبها ادهم الضابط فمن المؤكد انه سوف يحل الخطبه بمجرد معرفته بماحدث لها وبطبيعة عمله فهو لم يتواجد في القاهرة كثيرا وعندما يكون في أجازه تعتذر الأم له بحجة أن شقيقتها مريضة ونادية ترعها ...

مرت الأيام وحالة نادية في سوء مستمر وفي أحد الأيام كانت تقف روحية في المطبخ مشغولة بإعداد الطعام ونادية في غرفتها تجلس على الفراش كقطة وديعة مسكينة وفي لحظه هبت واقفه على قدميها فوق الفراش في مواجهة نافذة غرفتها المفتوحة فكان هناك شاب ينظر نحوها من النافذه المقابلة لها فرفعت نادية جلبابها وخلعت ملابسها الداخلية حتى أصبحت عارية تماما وهي تستعرض جسدها الخمري أمام الشاب الذي تدلى فكه وجحظت عيناه وهو يرى نادية تداعب نهديها وحلماتها بكل رقه ودلع ... صرخة مكتومة جاءت من باب غرفة نادية استدارت نادية لتجد أمها تقف على الباب وتضع يدها على فمها من هول المشهد وقالت:

_ بتعملي إيه يابت الكلاب

تحول وجه نادية إلى غضب رهيب وأصبحت عيناها شديدة السواد وخرج من فمها صوت غليظ شيطاني وكأن هناك شخصين يتحدثون معا في نفس الوقت وقالت:

_ وانتي مال أمك إنتي ؟

وأشارت بيدها نحو الباب فانغلق من تلقاء نفسه بقوه وعنف دون أن يلمسه أحد.

تعددت الحوادث وتحولت نادية إلى كائن شرس يخشاه الجميع

ويتجنبه كل من في المنزل فنظرة واحدة في عينها وهي غاضبة كفيلة أن تصيبك بسكته قلبية ... مما دفع الأب في البحث عن شيخ لعلاج ابنته فهو أصبح على يقين تام الآن أنها بها مس شيطاني وعندما حضر الشيخ لم يلبث أمام نادية أكثر من دقيقة واحدة وخرج من المنزل مدحورا وهو يصرخ فزعا بعد أن هجمت عليه وقبضت على عنقة بقبضه من الفلاذ ترغب في قتله ..لكن الأب لم ييأس وبحث عنه شيخ اخر وجلس مع نادية وقراء بعض أيات الذكر الحكيم وقام بتحصين المنزل من هجمات الشياطين بآيات من القرآن واستعادت نادية جزء بسيط من نشاطها الذهني وعادت إلى طبيعتها وإن ظلت لا تتحدث كثيرًا مع أحد وعرف الأب بعد ذلك أن الشيخ مات مقتول في شقته وحيدا .

عادت الحياه إلى سابق عهدها مرة أخرى واستعادت العائلة جزءًا من نشاطها الطبيعي بعد أن عادت نادية إلى ممارسة حياتها الطبيعة مرة أخرى وعادت إلى العمل وظن الجميع أن أيام الرعب انتهت ولن تعود مرة أخرى وفي أحد الأيام عندما عادت نادية إلى المنزل كانت رائحة الطعام الشهي تفوح في كل ركن فدلفت إلى المطبخ واحتضنت أمها من ظهرها وهي تقبلها وقالت:

_ تسلم إيدك ياست الكل ... كان نفسي في المحشي قوي

ابتسمت روحية وهي تنظر إلى ابنتها قائلة:

_ بألف هنا على قلبك ... روحي استحمي بسرعة عقبال ما اجهز الغدا بابا زمانه على وصول.

دلفت نادية إلى غرفتها ووضعت حقيبتها على الفراش وأخذت من الدولاب ملابس داخليه نظيفة واتجهت إلى الحمام وأغلقت الباب من الداخل ... خلعت نادية ملابسها كلها وألقت بها على الأرض حتى أصبحت عارية تمامًا ورفعت نفسها وجلست داخل البانيو الخالي من الماء بجسدها الرشيق وفتحت الصنبور ليتدفق الماء الساخن وأخذت تدعك جسدها كله بالصابون وأغمضت عينيها تحسبن من الرغوه المتوقعة من فرك الصابون بالماء ، وظلت تدعك وتفرك وهي مغمضه العينين وارتفع بخار الماء بشدة حتى أصبح يملئ الحمام كله ووسط بخار الماء تجسد كيان وسط البخار لرجل نحيل طويل جدا أسمر البشرة كان التجسد أشبه بتجسد بخار الماء حول جسد ما ليصنع ظل هذا الرجل أو هذا الكيان الشيطاني الذي يقترب من نادية بساقية التي تشبه الماعز المشعرة وقضيبه الذي يتدلي من بين ساقية حتى أنه يلامس الأرض وهو ينظر إلى جسدها العاري الخمري ونهودها المتدلية وحلماتها النافرة .. أه من نظراتك أيها الكيان الشيطاني كان ينظر بعيون مقيته وتأمل جارح لتفاصيل الجسد العاري لنادية.

كان ينظر بشكل متراخي أولاً ثم بدأ يحملق في الجسد وبينما الرغوه تحاصر لحم نادية ورأسها... كان يقترب أكثر وأكثر منها ثم صعد على حافة البانيو ويقترب بوجهه من وجه نادية أكثر وأكثر ونادية مستمرة في دعك جسدها الطري وشعر رأسها الأسود الفاحم.

تتغير نظرة السخرية على وجه الكائن الشيطاني ليحل محلها نظرة شهوانية مقيته، لكن من حسن الحظ أن نادية تحت طبقات الرغوه تغلق عينها وإلا ماتت من وجه هذا الكيان الشيطاني المشعر، شديد البشاعة وفجأه انقلبت سحنه هذا الكيان إلى وجه تيس مذبوح وانتصب قضيبه بقوة ووضع يده على رأس نادية يتحسسه ونزل بيده على عنقها وكتفيها فانتفض جسد نادية رعبا وشعرت بأصابع أحد على جسدها فوقفت على قدميها وهي تقول:

_ إنتي هنا يا ماما .. إنتي دخلتي إزاي ؟

وأسرعت تزيح الصابون بالماء من على وجهها وصرخت صرخة مكتومة وهي تشعر بيد ضخمه تتحسس أردافها الطرية ... قفزت مزعورة من خارج البانيو عندما شعرت بيد تتحسس فخدها الأيسر وسقطت على وجهها بسبب الرغوه التي تملئ جسدها وقبل أن تنهض شعرت بجسد ضخم مشعر يستلقي فوق ظهرها وصدره الساخن ينفث نار حاميه على ظهرها وانتابها حالة من الرعب والرعشة وانحبس صوتها ...

حاولت الصراخ لكن صوتها لم يخرج من حلقها وشعرت بيد ضخمة تباعد مابين ساقيها بقوة وعنف ويد قوية من الفولاذ تباعد ما بين عضلتي ردفيها وعلى حين غرة وبسرعة خارقة شعرت بشئ غليظ يشبه ماصوره أو كقضيب معدني قوي يخترق دبرها ويشق طريقه داخل فتحه الشرج ليصل إلى أحشائها وينتج عنه صرخة قوية ارتجت على إثرها جدران الحمام كله وبدأت تشعر بدماء تسيل من فتح الشرج وهذا الكائن يتلذذ بمعاشرتها وهي تصرخ وتأن لكن الكائن الشيطاني تكفل بكتم الصوت داخل الحمام حتى لا يسمعه أحد من الخارج ...

أكثر من ساعة ونصف مرت على نادية وهي في الحمام مما أثار قلق روحية خاصة وان ابنتها لا تستجيب لنداء أمها وهي تدق عليها الباب فاستنجدت بشقيقها الأكبر الذي يسكن في الشقة المقابلة لهم وكسر عليها باب الحمام ليجد نادية على الأرض والدماء تسيل منها على الأرض وفي حالة إغماء تام ...

_ إحنا في مستشفى الهرم ...تعال بسرعة.

بتلك الكلمات أنهت روحية المكالمة مع زوجها ووضعت هاتفها المحمول في حقيبة يدها وهي تقف أمام غرفة الكشف بالمستشفى وقلبها يدق بعنف في انتظار خروج الطبيب ليطمئنها، وابنها الكبير يقف بجوارها

يضع يده على كتفيها ليطمئنها .. لحظات وخرج الطبيب وقال:

_ واضح إنها اتعرضت لاغتصاب عنيف هو اللي أدى إلى شرخ ونزيف حاد

فصرخت الأم وقالت:

_ يعني إيه ؟ بنتي ضاعت

فهم الطبيب مغذى كلام الأم فقال:

_ اطمني ياست هي لسه بكر الاغتصاب كان من الدبر هي نايمة دلوقت وهتفضل معانا كام يوم لحد ماتتحسن ... لو حابين تبلغو أو تعملو محضر بالواقعة أنا تحت أمركم ممكن أكتبلكم تقرير طبي.

انصرف الطبيب تاركا الأم تسقط في بئر سحيق من الحزن والألم على ابنتها التي ظنت أن الله شفاها وصرف عنها الكيان الشيطاني الذي أذاقها العذاب أربعة أشهر كاملة ..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل الخامس

عرف الجميع ما حدث لنادية واجتمعت العائلة كلها في المستشفى بجوار الفتاة الغائبه عن الوعي، ولا يعرف أحد كيف عرف الناس في الشارع والمنطقه أن هذا المنزل مسكون وفي ليلة وضحاها تحول المنزل إلى محط أنظار الجميع وأصبح سكان الشارع يخشون هذا المنزل بل ويخشون عائلة الفولي كلها ...

كما توقعت روحية فبمجرد معرفه أدهم خطيب نادية بما حدث لها حل خطبته منها وأجبره والده على حل الخطبة والزواج من فتاة أخرى ليبدأ حياة جديدة بعيدة عن المشاكل فالجميع أصبح يعرف أنها معشوقاً لجني من العالم السفلي يسيطر عليها تماما ...

رافقت رويحة ابنتها طوال فترة إقامتها في المستشفى وشقيقها عماد ووالدها يقوموا بزيارتها كل يوم تقريبا وينصرفوا في موعد انتهاء الزيارة.... كان يجلس الجميع بجوار نادية وهي نائمة تحت تأثير المخدر القوي الذي تناولته على يد الممرضة، بينما روحية تدفن وجهها في راحتها وتبكي بكاءً حارًا فقال لها زوجها:

_ وحدي الله أمال يا روحية إنت ست مؤمنة مش كده

قالت روحية وهي تجهش بالبكاء:

_ ونِعم بالله ... «لله الأمر من قبل ومن بعد»

شعر عماد بأن الجو أصبح خانقا والحزن والكآبة يغلفان الجو فخرج من الغرفة واتجه إلى سلم الطوارق ليدخن سيجارة بعيدًا عن عيون والده ... استند بظهره على الجدار وأخرج من جيبه علبة السجائر واستخرج سيجارة وأشعلها ورفع رأسه إلى أعلى وهو ينفث دخان سيجارته.

ارتعشت الإضاءه على سلم الطوارق ولاحظ عماد وجود أبيه ينظر إليه من أسفل السلم فألقى بالسيجاره بعيدا عنه وتلعثم وشعر بحرج شديد وظل والده ينظر له في غضب ثم انصرف عنه ... تردد عماد للحظات ثم هبط الدرج مسرعا ليلحق بأبيه ويعتذر له وعبر بوابه خشبية ليجد نفسه في طرقة طويلة وعلي الجانبين عدة غرف مغلقة والأرض من أسفله باللون الأزرق الباهت وعدد من المصابيح الضعيفة تعكس ظلال باهتة على الجدران والأرض فتقدم عدة خطوات ونظر إلى اليمين واليسار، لكنه لم يجد أي أثر للحاج محمد الفولي وكأنه شبح تبخر في الهواء واستدار للخلف ليعود من حيث أتى ...

ماهذا ؟

مستحيل ؟!

الباب الذي دلف منه عماد اختفى وحل محله جدار أملس ... الباب كان هنا منذ لحظات فكيف اختفى ؟! إن لم يكن الباب هنا من البداية فكيف حضر ؟ شعر بقشعريرة تسري في بدنه، وفي خطوات ترتعش تقدم إلى الأمام حتى نهاية الطرقة ووجد بابًا ضخمًا فدفعه برفق ودخل الغرفة ليجد نفسه داخل مكان به العديد من الأدراج الاستالس وعدد كبير من الترولي الاستالس المتعارف عليه في المستشفيات يرقد عليها جثث الموتي !

إنه داخل المشرحة إذن ...تراجع عده خطوات للخلف وقلبه يخفق بشدة وموجة من البرد تجتاح كيانه واستدار ليخرج من هذا المكان ودفع الباب، لكنه كان مغلقًا بشدة فحاول جذب الباب لكنه كان مغلقًا بإحكام وارتعشت الإضاءه في المشرحة وانقطعت الكهرباء عن المكان وبدأ يسمع صوت أحد أدراج الثلاجة يفتح ببطئ شديد ويصدر عنه صرير عنيف يقشعر له الأبدان فتراجع إلى الخلف والتصق بالحائط وأنفاسه عالية وبدأ البرد يزحف على أطرافه وشعر أن جسده بدأ يتجمد.

إنه الآن يشعر بحركة خفيفة من حوله .... أنفاس وخطوات أقدام تتحرك في الظلام وبعد لحظة عادت الكهرباء سريعا لثانية واحدة ، لكن تلك الثانية كانت كفيلة بجعل شعر رأسه كله يشيب ويصرخ في فزع فما شاهده لم يتحمله بشر ...

كان هناك جثة تتحرك ... نعم إنها جثة أحد الموتي تتحرك وتقترب منه... جثه منتفخة زرقاء مفقوعة العين اليسرا ... هذا ما استطاع رؤيتة قبل أن تنقطع الكهرباء مرة أخرى ..

سقط عماد على ركبتيه وهو يبكي وجسده كله ينتفض رعبًا، لكن لحظة ... ماهذا إنه يشعر بماء دافئ يتسرب من بين فخذيه ... إنه يبول على نفسه من شدة الرعب وهو يسمع صوت الانفاس العاليه تقترب منه وصوت دبيب خطوات الاقدام وشعر أن قلبه سيخرج من صدره ... وبجسد يرتعش زحف على يديه وركبتيه حتى اقترب من (ترولي) انزوى أسفله يسترق السمع لدبيب الأقدام والأنفاس التي أصبحت أقرب إليه الآن من ذي قبل .

عاد التيار الكهربي مرة أخرى، نظر عماد حوله ليجد في أخر الغرفة أقدام محروقة تماما بل ومتفحمة والجلد يتدلي منها لها أظافر سوداء أشبه بالمخالب تقف بعيدا كانت الاقدام مقززه إلى أقصى درجة وهو يبكي من الرعب، ويحاول كتم أنفاسه أسفل الترولي حتى لا تشعر به الجثة التي تتحرك ثم بدأ يشعر بحركة غريبة فوق الترولي الذي يختبئ أسفله فزحف خطوة إلى الأمام ومد عنقه ورفعه إلى الأعلى لينظر ماذا يحدث فوجد وجهه مشوه يملأه الشعر، له أسنان حادة مسنونة متداخلة في

بعضها البعض كأسنان أسماك القرش صفراء وعينان شديدة السواد تنظر له فصرخ مرعوبا وخرج من أسفل الترولي وهو يصرخ واندفع كالمجنون نحو الباب ومد يده نحو مقبض الباب وجذبه بعنف، لكنه مغلق بقوة عجيبة، وظل يركل الباب ويحاول جذبه ودفعه دون جدوى ومن حين إلى آخر كان ينظر إلى الخلف ليجد الجثة الأولى المنتفخه تقترب منه في بطئ شديد والجثة الأخرى صاحبة الوجه المشوه المشعر على بعد خطوات منه ...حاول الصراخ لكن صوته لم يخرج من حلقه وظل يضرب بكل قوة على الباب وبكل عنف وعزم.

يركل ويضرب بيديه على الباب واستجمع كل طاقته وأطلق أكبر صرخة فزع في الدنيا حتى أن عروق عنقه نفرت بحدة واحمر وجهه وجحظت عيناه ...الجثة صاحبة الوجه المشوه تزحف الآن على يديها وركبتيها وتقترب منه

لم يعد بينهم إلا خطوه واحده فتراجع عدة خطوات للخلف والتسق بالجدار واغمض عينه وهو يصرخ عندما مدت الجثة يدها وقبضت على ساقه تعتصر ركبتيه وسقط على الأرض مغشيا عليه في نفس اللحظه الذي دلف فيها أحد عمال المشرحة .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

_ هو دخل علىيهم من غير ما يستأذن كان لازم يأخد الإذن منهم الأول عشان مايشفش حاجة مكنش ينفع يشوفها... للأموات حرمة.

بهذه الكلمات أنهى عامل المشرحة حديثه مع الحاج محمد الفولي وانصرف عنه بعد لحظات خرج الطبيب من غرفة الكشف، وقال مخاطبًا والده وأمه:

_ الركبه اتفتت ... لازم يعمل عمليه ونركب له مفصل صناعي

فقال محمد

_ وهيرجع يمشي على رجله تاني.

_ طبعًا أن شاء الله لكن مستحيل يمارس أي رياضه عنيفة أو يحمل عليها كتير

قالت روحية.

_ نعمله العمليه فورا .

فقال الطبيب:

_ أنا هجهزه النهاردة وبكره الصبح هنعمل له العمليه وإن شاء الله يكون بخير

يرقد عماد في غرفة بجوار شقيقته نادية، بينما الأب والأم يجلسان في ذلك الممر على أريكه خشبية أمام غرفة أبنائهم وينظران نحو غرفة نادية

وعماد وهمست روحية وقالت:

_ العيال بضيع يا محمد ... الموضوع كبر وبدأ يطول العيال كلها انت لازم تشوف حل.

وانتفض جسد محمد الفولي عندما شعر بيد شخص تربط على كتفه فنظر بجواره ليجد ابنه الأكبر حاتم وزوجته وقال ابنه:

_ هو عامل إيه دلوقت يابابا

_ هنعمل له عمليه بكره الصبح

قالت زوجه حاتم مخاطبه روحية:

_ الموضع ده عايز ساحر ياخالتي

نظرت لها روحية وقالت:

_ ما احنا جبنا بدل الشيخ تلاته وكنا قلنا خلاص الموضوع انتهى.

فقالت زوجة حاتم:

_ لا ياخالتي الساحر غير الشيخ الساحر بيجيب من الأخر وهيصرف الجني ده خالص.

فقال محمد:

_ وده هنجيبه منين ؟ إنت تعرفي حد .

_ طبعا يا عمي .. الشيخ ناصر ده سره باتع ...سعاد صحبتي ماكنتش

بتخلف بقالها أكترمن سبع سنين وهي زيارة واحدة للشيخ ناصر وبعد تسع شهور خلفت توأم.

قالت روحية:

_ الخلفة غير اللي احنا فيه ده

_ جرّبي ياخالتي مش هنخسر حاجة

_ طب خليه يجي البيت

_ لاء يجي فين دا مابيجيش ... إحنا اللي هنروحله إن شاء الله.

فقالت روحية وهي تضع يدها على رأسها

_ لما العيال تخرج بالسلامه إن شاء الله نروح المهم أطمن على عيالي الأول

_ إن شاء لله ربنا هيطمنك عليهم وتشوفيهم زي الفل والغمه دي هتنزاح

أقسمت حنان زوجه حاتم أن لا تغادر المستشفي إلا وناديه وعماد معها بعد أن أرسلت أبنائها إلى والدتها لقضاء الأيام القادمة معها واستسلمت روحية لرغبة زوجة ابنها أمام هذا القسم، وغادر الأب وابنه الأكبر إلى المنزل، لكن حاتم عرج للمقهى ليجلس مع أصدقائه قليلا قبل أن يصعد إلى المنزل ... كان يشعر برغبه في أن ينفس عن نفسه قليلاً بعيدًا عن جو التوتر الذي يحيا فيه .

في تمام الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل غادر حاتم المقهى وصعد إلى منزله. دلف إلى غرفة نومه وأضاء مصباح الغرفة ليجد حنان

ترقد على الفراش بقوامها الممشوق وبشرتها البيضاء كالثلج وشعرها الأسود الفاحم وهي شبه عارية لا ترتدي شيئا سوى قميص قصير فوق الركبه فنظر لها في تعجب وقال:

_ انتي رجعتي إمتى؟ مش كنتي هتباتي في المستشفي مع أمي.

نظرت له في دلال بنظرة قارحة لا تخرج إلا من غانية احترفت إغواء الرجال.

_ إيه ماكنتش عايز تشوفني ؟

_ لا أبدًا بس اللي يشوفيك وانتي بتحلفي مايشوفكيش دلوقت.

غادرت الفراش واتجهت نحوه وهي تمشي في دلال ودلع ويهتز نهديها واحتضنته من الخلف وهو يقف أمام مرايا التسريحة يخلع ملابسه ومدت يدها كأفعى تتحسس صدره ونهديها ملتصقان بظهره ويفوح منها رائحة عطرية جذابة تثير الشهوة وتوقدها فسال لعاب حاتم وشعر بالنشوه تستيقظ بداخله وبدأت حنان في تقبيله من عنقة وهي تقول:

_ وحشتني قوي ...

شعر بالخدر يسري في جسده وحمم الشهوه تنفجر بداخله كحمم البركان ومدت يدها تخلع له البنطالون وفي رقة وجرأة غير معهودة منها مدت يدها إلى مابين فخذيه تداعبه وهي تهمس في أذنه قائلة:

_ حلو كده ؟

_ دي أول مرة إيه اللي حصل ؟

جذبته من يده وساقته نحو الفراش كالمنوم مغناطيسيا ودفعت بدلال ليسقط على المرتبه الاسفنجية وتخلع ذلك القميص عنها وتقف أمامه عارية تستلقي بجوراه في الفراش ويبحر معها إلى جزر الريحان والنعناع ويكتشف بجسدها مواطن جديدة وتظهر هي أمامه بطريقة مختلفة وكأنها محترفة ...

يرن جرس هاتفه المحمول فيمد يده نحو الكومود فتقبض على يده وتمنعه من أن يلتقط الهاتف قائلة:

_ خليك معايه اللحظة دي مش هتشوفها تاني.

فنظر في عينها وقال:

_ يمكن يكون حصل حاجة في المستشفي.

دفعها برفق عنه واعتدل في جلسته والتقط الهاتف ونظر إلى رقم المتصل ليجد رقم والدته فأجاب على الفور وقال:

_ أيوه يا ماما خير في حاجة حصلت ؟

وكانت الصدمة بالنسبة له... الصدمة التي جعلت شعر رأسه ينتصب وتجحظ عيناه وتتسارع دقات قلبه عندما جاء صوت حنان زوجته عبر الهاتف وهي تقول له:

_ معلش ياحاتم صحيتك من النوم يا حبيبي... أصل تلفوني فصل

شحن ياريت تجيب لي معاك الشاحن بكره وإنت جاي على المستشفى ومعلش هتعبك معايا في حتتين غسيل على الحبل لمهم قبل متنام وهاتلي معاك غيار نطيف أنام فيه لحسن أنا بهدومي دي من الصبح ... حاتم إنت سامعني!

لم يسمع حاتم حرفا واحدًا مما قالته زوجته، بل كان في حاله ذهول تام وهو يسمع صوتها عبر الهاتف ويراها أمامه تقف أمام السرير وسقط الهاتف من يده وصدر عنه صرخة مدوية انخلع على إثرها قلب حنان عندما سمعت صوته عبر الهاتف.

وشعر أن جسده كله متصلب وكأنه مربوط بحبال خفية وتحولت السيدة التي كان يعاشرها منذ قليل على أنها زوجته إلى كيان عملاق أسود اللون له أقدام ماعز والشعر يملئ وجهه وجسده وله عينان ذات شق طولي صفراء والزبد يسيل من شدقيه فصرخ مرة أخرى، وهذا الكيان يقترب منه أكثر وأكثر حتى أصبح معه في الفراش وباعد بين ساقيه وحاتم يشعر أنه مربوط بحبال خفية لم يقوَ على الحركة وفتح هذا الكيان فمه على اتساعه ليظهر أسنانًا مدببة حادة ودفن رأسه بين فخذي حاتم لتتدفق نافورة من الدماء ويفقد حاتم الوعي ...

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

استعاد حاتم وعيه ليجد نفسه في المستشفي يرقد على فراش وبجواره والده ووالدته فنظر إليهم بعين ناعسة من أثر المخدر وقال وهو يشعر بالدوار:

_ إيه اللي حصل ؟ أنا فين ؟

اتجهت أمه نحوه وهي تبكي وقبلت رأسه وربطت على كتفه، بينما لم يتحمل والده النظر إلى ابنه في مثل هذا الوضع فخرج من الغرفة قبل أن يبكي أمامه فنظر حاتم إلى والدته وقال:

_ هي حنان فين ؟

حاولت الأم التماسك أمام ابنها وقالت:

_ لحظه يابني وهناديها هي واقفه برا

خرجت الأم المكلومة من الغرفة لتجد حنان تقف والقلق يعربد في صدرها وقالت بلهفة:

_ حاتم فاق ياخلتي ... فاق صح ؟

نظرت لها الأم وقالت:

_هو عايزك جوا ادخلي له يابنتي .

اندفعت حنان إلى داخل الغرفة، وهي تبكي ووقفت بجوار الفراش تنظر لزوجها العاجز وسقطت دمعة من عينها فمسحتها بيدها وتمالكت نفسها واقتربت منه وربطت على كتفه في رقة فنظر في عينيها وقال :

_ إيه اللي حصل ؟ أنا جرالي إيه ؟

انسالت دمعة من عينيها وانخرطت في بكاء حار وارتمت على صدر زوجها وهي تبكي ثم اقتربت من أذن حاتم وهمست فجحظت عينيه وشعر بدوار عنيف يدرب تلابيب مخه ... الآن فقط عرف أنه فقد رجولته بعد أن التهم الكيان الشيطاني عضوه الذكري ...

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل السادس

اجتمعت العائلة مرة أخرى في المنزل بعد أن خرج الجميع من المستشفى، لكن الحال أصبح غير الحال ... الصمت أصبح هو اللغة السائدة بين عائلة الفولي وتحولت نادية إلى مجرد جسد يجلس في غرفته لا يتحدث مع أحد وعماد شاب شعر رأسه كله وأصبح يفزع ويصرخ من أي صوت يصدر حوله فجأة، أما حاتم فلا يفعل شيئا سوى الجلوس والبكاء طوال اليوم وحنان زوجته أقسمت بينها وبين نفسها على الانتقام لزوجها من الفاعل مهما كان نوعه وكرست حياتها في التواصل مع صديقتها سعاد حتى تساعدها في الذهاب إلى الشيخ ناصر .

_ معادنا معاه بكره ياخلتي.

قالتها حنان بكل سعادة عندما فتحت لها روحية باب المنزل ودلفت وعلى وجهها ابتسامة عريضة فنظرت لها روحية قائلة:

_ هو مين اللي معادنا معاه بكره.

_ الشيخ ناصر ياخلتي اللي هيحل المشكلة كلها ويرجع نادية زي الأول

_ إنت لسه فاكرة ...

_ معلش ياخالتي البت سعاد صحبتي كانت مسافرة مع جوزها ومش عارفة أوصل لها، لكن أول مارجعت كلمتها وخادت لي معاد معاه، بس الشيخ ناصر طالب ألف جنيه.

_ ياختي ياخد اللي هو عاوزه بس يشفي البت ...

_ إن شاء الله الشفا على إيده

_ إنت تعرفية كويس؟

_ أنا عمري ماشفته، بس سعاد دي صحبتي وأنا بثق فيها جدًا وهي شكرت فيه قوي.

يوم الخميس كان في ما مضى يوم محبوب للجميع فهو يمثل نهاية الأسبوع والزوجات تقوم بتنظيف المنزل وإعداد طعام يوم الجمعة والأطفال تلعب في حوش العمارة والسيدة روحية كانت رتبت كل شيئ فهي تعلم أنها ستغيب مع زوجة ابنها لمقابله الشيخ ناصر فصنعت كيكة لأحفادها ووزعت عليهم المال ليلهون في غيابها وأخذت معها مبلغ ألف جنه وارتدت ملابس سوداء وخرجت من العمارة ومعها حنان واستقلت سيارة أجرة إلى مسجد السيدة عائشة تمهيدا للركوب حيث مقابر البساتين وكانت تعلم أن السيدة سعاد صديقة حنان تنتظرهم هناك ..

بين صخب الطريق والمواصلات ودخول وخروج المصلين من وإلى

الجامع الكبير انشغلت روحية في حال ابنتها نادية وهي تجلس على مصطبة بجوار المسجد الكبير في انتظار السيدة سعاد ... لتقترب منها سيدة قصيرة القامة ترتدي عباءة سوداء لها ملامح دقيقة وعيون صغيرة وبشرة خمرية وأنف معكوف تقترب منها وقد ارتسم على وجهها ابتسامة ترحيب فنظرت إلى حنان التي اقتربت منها في خطوات سريعة واحتضنتها وتبادلت معها التحيات والقبولات، وبعد أن تعرفت عليها السيدة روحية بدأ الجميع في التحرك نحو المقابر ...

رغم زحمة السير والمواصلات إلا أن روحية شعرت برهبة قوية وهي تتقدم نحو المقابر بعد أن عرج النسوه الثلاث إلى شارع بجوار الجامع ليدخلن مقابر البساتين ويختلط أحواش الدفن الجديده المبنيه بالطوب الاحمر والأبواب الحديدية مع القديم حيث الأحجار النية والأبواب الخشبية.

تُرى أين يسكن الشيخ ناصر ؟! صاحب الكشف الأغلى من أغلى طبيب؟! وماهي سر قوته ؟!

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

ناصر أيوب هو اسمه واشتهر فيما بعد باسم ناصر العاو الابن الأكبر لعم أيوب حارس عقار عمارة عريقة من عمارات العجوزة ... تُوفي والده بعد أن حصل ناصر على الثانوية العامة ولم يمهله سكان العقار سوى يوم

واحد للخروج من العقار وإخلاء غرفة الحارس لقدوم الحارس الجديد.

في يوم وليلة وجد ناصر نفسه هو وأمه وثلاثة أشقاء له صغار على قارعة الطريق لا مأوى لهم فاتجه صوب شارع الهرم إلى خاله ثابت الذي كان يعمل حارس عقار ويمتلك (كشك سجائر).... أقام ناصر عنده ثلاث ليالي ثم دَبّر له خاله عمل كحارس عقار في إحدى عمارات شارع الهرم ومكث في غرفة الحارس هو وأسرته، لكن المسؤلية أصبحت ثقيلة عليه بعد أن مات والده أصبح هو الأخ الأكبر والأب وعليه تلبية احتياجات الأسرة فعمل سائق توك توك من الساعة السادسة مساءً بعد تلبية احتياجات العمارة وحتى منتصف الليل .

سلبته الدنيا حقه في التعليم وفي الحياة الكريمة بين الناس، لكنه قرر أن يأخذ من الدنيا ما يشاء وصخر حياته في بيع الحشيش الذي عاونه فيه صديق له كان يعمل سائق توك توك عندما كان يراه يمتلك مالاً وفيراً فضمنه صديقه عند التاجر وبدأت رحلة ناصر في التجارة والربح وهو يتجول في الظلام كالخفافيش يبحث عن موريدين الحشيش وتتكاثر الأمول معه يوم بعد يوم ..

ظهرت الفاتنة نادية بقوامها الممشوق وشعرها الأسود الفاحم في يوم من الأيام وهي ذاهبة إلى الكلية فكان عليها أن تستقل توك توك حتى الشارع الرئيسي ونظرًا لأن ناصر متعلم فكان يختلف إلى حد كبير عن باقي

السائقين فشعرت نادية بالطمأنية له وأخذت رقم هاتفه حتى تخابره كل يوم في الصباح لينقلها إلى الشارع الرئيسي .... شعر لأول مرة أنه يتنفس وأنه كائن حي يراه الناس ويتعاملون معة بلطف وود بل أكثر من ذلك ...

كان ينظر إليها ويشعر أنها في حمايته وأنه مسؤل عنها، لعله الحب لعب دورًا ما، لكن نادية لم تكن تعامله إلا بكل الود والاحترام فهو من وجه نظرها شاب مجتهد يستحق الاحترام وبالطبع كانت لا تعلم أنه يتاجر في الحشيش ..

صوَّر له شيطانه أنه يمتلك المال الكافي ليتزوج من نادية وعزم على خطبتها فتقدم لها، لكنه تأكد أن الناس والدنيا لن تمنحه فرصة الحياة النظيفة فهو حارس عقار وسائق توك توك ولا يمتلك شهادات إلا شهادة الثانوية العامة ،هكذا هي الحياة قاسية جدًا يا ناصر لن تمنحك ما تتمناه...

خرج ناصر من منزل نادية بعد مقابلة والدها، منكس الرأس مهزوم بعد أن صوَّرت له نفسه أنه يستطيع أن يناسب ولاد الأكابر ونشبت الدنيا مخالبها في صدره وانتزعت قلبه بعد أن تجرع مرارة خيبة الأمل وتحطمت كل أحلامه في أن يحيا حياة نظيفة وانغمس أكثر في تجارة الحشيش وقرر أن يكون له شأن بين الناس ويجبرهم على احترامه بعد أن يمتلك المال الذي يستطيع أن يشتري به النفوس ..

على رأس الشارع وقف صديقه يشير له بأن يهرب فالشرطة صنعت

له كمينًا للقبض عليه بعد أن قام والد نادية بإبلاغ الشرطة عنه ، عرف الرجل سر الشاب في تجارة المخدرات وحطم له أخر أمل لتحقيق الثروة التي ستجعله يحيا حياة يتمناها ..

خرج من الهرم إلى ميدان الجيزه هائمًا على وجهه لا يعلم إلى أين يتجه يتجول في الطرقات ككلب ضال هاربًا من الشرطة التي تبحث عنه تاركا أمه وأخوته الصغار، لكنه لم يكن قلقا عليهم فما تركه لهم من أموال تجعلهم يحيون حياة كريمة دون أن تحتاج أمه أن تمد يدها إلى أحد ...

ثلاثة أيام مرت عليه وهو هائمًا على وجهه لا يعلم إلى أين يتجه أو ماذا سيفعل في الأيام القادمة ... يرتعد خوفا ويختبأ كلما لمح سياره شرطه أو أحد رجال الشرطة ...

يقضي النهار كله في التجول وفي الليل ينام تحت أحد الكباري أو على أرصفة الطرقات وتذكر صديق والده عم عثمان وقرر أن يلجأ إليه فاتجه إلى مقابر البساتين حيث يقطن عم عثمان في أحد أحواش المقابر ...

لم يكن الوصول إلى عم عثمان صعبًا فعندما دلف إلى مقابر البساتين وسأل عن عم عثمان التربي وجد ألف من يدله على مسكنه ، لم يتوقع عثمان أن يرى ابن أعز أصدقائه وقد صار رجلا قوي البنيان طويل القامة عريض المنكبين، لكنه رث الثياب والهيئة وكأنه خارج لتوه من أحد المقابر ليتجول ...

رحب به واستمع إلى قصته وهو ينظر له بعينيه الصغيرة السوداء

وبشرته السوداء وجسده النحيل فهو رجل من أصل نوبي وتحدث معه ناصر بكل صراحة وحكى له كل شيئ دون كذبه واحدة، لكن عثمان قال:

_ مش المخدرات بس اللي ممكن تخليك غني في طرق تانيه كتير

نظر له ناصر متعجبًا فهو يعلم أن عثمان تربى ويعيش في المدافن مع الأموات ويأكل من دفن الموتى، وإن كان هناك طرقا أخرى لاتخذها عثمان ليستبدل حياته هذه بحياة أفضل، لكنه لم يشأ أن يتجادل معة وفضّل الصمت ..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل السابع

ثلاثة أشهر كاملة وسط المدافن وشواهد القبور ودفن الموتى كفيلة في أن تحول ناصر إلى تربي محترف لا يهاب الموت أو الموتى والقبور وظلام المقابر وصوت الكلاب التي تعوي في المساء ...

أكثر ما كان يحير ناصر في الحياه مع عثمان هي تحركات عثمان في الظلام خاصة بعد الساعة الثانية عشر منتصف الليل ... كان يراه يخرج من الحجرة ويختفي وسط ظلام المقابر وشواهد القبور ساعات ثم يعود والأتربة تغطي جسده كله ويستلقي على ظهره ويغوص في نوم عميق وكأنه مقتول ...

مع تكرار هذا الحدث أصر ناصر على اكتشاف سر عثمان وفي أحد الليالي المظلمة اختفى القمر وكثرت السحب في السماء واشتدت الرياح في الخارج تتلاعب بالأوراق على الأرض وتفعل بها الأفاعيل كالجان ... خرج عثمان متسللاً كالصوص وبعد لحظات خرج خلفه ناصر ..

طريق متعرج بين شواهد القبور قطعه عثمان وخلفه ناصر يتسلل

من بعيد حتى لا يشعر به عثمان حتى وجده توقف أمام أحد شواهد القبور التف عثمان خلف شاهد القبر وانحنى على الأرض والتقط مصباح كروسين وأشعل المصباح بعود ثقاب، ثم التقط جاروف حفر وبدأ في حفر القبر بعد أن خلع جلبابه وسرعان مع ظهرت السلالم المؤديه إلى أسفل القبر فحمل المصباح وتحرك إلى السلام وابتعلته ظلمة القبر .

بعد ثلاث دقائق مرت على ناصر وكأنها دهرا وهو يختبئ خلف أحد شواهد القبور يراقب ما يحدث خرج عثمان وفي يده اليسرى كان يحمل المصباح وفي يده الأخرى يحمل خصله شعر سوداء وبعد قرابى العشرة دقائق كان قد انتهى عثمان من غلق القبر مرة أخرى .. وحمل المصباح واتخذ طريق آخر ضيق بين شواهد القبور وخلفه ناصر حتى وصل إلى أحد الأحواش وعالج ريتاج الباب ودلف عثمان بينما ظل ناصر خارج الحوش يفكر في كيفية الدخول دون أن يشعر به عثمان وماهي إلا لحظات وسمع ناصر صوت باب يغلق فاتجه إلى باب الحوش فدفع الباب بيده ببطئ شديد ودلف إلى الداخل بعد أن تأكد أن المكان خالي تمام ...

كان الحوش مربع الشكل يتوسطه غرفة صغيره لها نافذة مستديرة وفطن ناصر أن عثمان دلف إلى تلك الغرفة فاتجه إلى النافذة ونظر من خلف الشيش ..

كان يقف عثمان عاريًا وأمامه على الأرض خصله الشعر وفي يده

كرباك سوداني يجلد نفسه وهو يتمتم بكلام غير مفهوم ويردد عبارات بصوت عال كالرعد وهو مستمر في الجلد ... تشقق جلده وبدأت الدماء تتقاطر على خصلة الشعر من جسد عثمان وماهي إلا لحظات وانطفأ مصباح الكيروسين وساد الظلام تمامًا، لكن عثمان مستمر في ترديد الكلام والطلاسم حتى سمع صوت زمجرة كلب ووسط الظلام رأى ناصر عيون حمراء كجمرات النار المشتعلة ، انتفض جسد ناصر وجحظت عيناه وتدلى فكه وتسارعت دقات قلبه وأطلق ساقية للريح عائدًا إلى الغرفة التي يعيش فيها وجسده كله يرتعش رعبا مما شاهده ...

مرت ثلاثة أيام على ناصر وهو لا يتحدث مع عثمان بل ويتجنب النظر في عينيه، وفي أحد الأيام وهم يتناولون طعام الغذاء قال عثمان:

_ ماكنتش عايز أحكيلك عشان ماتخفش بس اللي انت شفته ده جزء صغير.

نظر ناصر في عين عثمان في رعب وقال:

_ إنت شفتني إزاي ؟

ابتسم عثمان وقال:

_ مش لازم أشوفك بعيني ليّا خدام شفوك وقالوا لي.

لم يجد ناصر شيئا يقوله رغم وجود ألف سؤال وسؤال في رأسه، لكنه

للحظة شعر أن كل الأسئلة التي كانت تدور في رأسه كالنحلة الطنانة اختفت وحل محلها صمت عقيم وفراغ قاتل فاستكمل عثمان كلامه وقال:

_ الشغل ده بيخاليني أكسب فلوس كتير جدًا أكتر بكتير من اللي كنت بتكسبه من الحشيش .

_ وإيه اللي معيشك هنا وانت معاك فلوس كتير قوي كده زي ما بتقول.

_ فترة مؤقتة لحد لما أعمل اللي أنا عايزه وبعدها هغير حياتي كلها إنت ماتعرفش القوه اللي معايا ومتعرفش أنا ممكن أعمل إيه ..

_ أنا عايزك تعلمني كل حاجة.

نطقها ناصر دون أن يشعر وكأن الكلام يجري على لسانه دون رغبة منه وشعر عثمان بفرح شديد فكان يرغب في أن يكون له ابن ينقل له هذا العلم فبدأ في تعليم ناصر أسلوب الجلب والتحضير وبعض الطلاسم وأساليب الاستدعاء .

_ أنا عاوز أحضر كيان كبير ليه قوة كبيرة أشتغل بيه.

نطقها ناصر هكذا بعد أربع أسابيع من التعليم فنظر عثمان في عينيه وقال:

_ أخاف عليك ... إنت مش جاهز دلوقت.

لكن عثمان ردخ لناصر تحت ضغط وإلحاح مستمر وأعطاه طريقة استدعاء ناصور وهو من ملوك الجن مارد جبار وهو الوحيد الذي يستطيع

تخطي كل التحصينات والتحويطات والأسحار بكل أشكالها وهذا يعني أن المعزم إذا أخطأ معه في أي كلمة أو حرف أو صيغة فبهذا فهو كتب نهايته بيده ولا يوجد أي خطر في التعامل مع ناصور إلا لو تركته فترات دون طلب من أي شيئ شرير كالقتل والحرق والتلبس أو جلب الحبيب، لكن تكمن خطورة ناصور في طريقة الاستدعاء واختيار ناصر له لم يأتِ اعتباطا.

تعلم ناصر من عثمان كل شيئ عن الجن وملوكهم وما يستطيعوا أن يفعلوه فلذلك اختار ناصر أن يبدأ قويًّا بجلب ناصور وتحضيره حتى يتسنى له فعل الأفاعيل ويسطع نجمه سريعًا وبعدها يبدأ في تكوين جيش كامل من مردة الجن ليغزوعقول البشر ويسيطر عليهم ويستطيع أن ينتقم من كل الناس التي أذاقته من كأس الذل والمهانة ....

حمل ناصر حقيبة بداخلها بعض الأدوات التي سيستخدمها في التحضير وأوراق كتب فيها طلسم الاستدعاء بعد أن حفظ من عثمان عن ظهر قلب الطريقة الصحيحة لاستدعاء ناصور ذلك المارد الجبار ...

اتجه ناصر شطر مقابر أكتوبر الجديدة فيجب أن يتم الاستدعاء في مكان خرب لا يقربه بشر لذلك وقع الاختيار على مقابر أكتوبر .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل الثامن

في عتمه الليل وفي ظلمة الفجر استقر ناصر في أحد الأحواش الجديدة بالمقابر ووضع حقيبته على الأرض وأخرج طباشير وبدأ في رسم دائرة على الأرض بداخلها مثلث، وبدأ في كتابة كلام باللغة السريانية تعلمها من عثمان.

خرج من الحوش واتجه إلى أحد شواهد القبور وهو يحمل في يده مصباح كوروسين وجاروف حفر وبدأ في الحفر حتى ظهر له سلالم القبر فحمل المصباح وهبط إلى القبر ليجد غرفة مربعة على اليسار وغرفة أخرى نحو اليمين.

فاتجه نحو اليسار فوجد جثمان يرقد فحل الكفن ونظر في وجه الرجل الميت ليجد جثة شبه متحلله فتركها وجلس على ركبيته وحل كفن الجثة الاخري التي بجوار الاولي ليجد جثمان شاب في مقتبل العمر توفي حديثا ففض عنه الكفن وألقاه بعيدًا وحمل الجثة وخرج من القبر ووضع الجثمان جانبًا، ثم هبط مرة أخرى ليحضر المصباح ثم خرج من القبر ووقف ينظر إلى السماء القاتمة وتنفس الهواء ثم بدأ في ردم القبر مرة أخرى .

حمل الجثمان واتجه إلى الحوش ووضع الجثمان داخل الدائرة وفرد ذراع الجثة جانبًا وباعد بين ساقيه، ثم اتجه إلى حقيبته وأخرج منها ثلاث

شموع حمراء غليظة ووضع الشمعة الأولى عند رأس الجثة، والشمعة الثانية عند قدمه اليسرى، والثالثة عند القدم الأخرى للجثة.

أخرج من حقيبته زجاجة بلاستيكية وأفرغ مثانته كلها بداخل الزجاجة، ثم بدأ في سكب محتويات الزجاجة كلها على رأسه وجسده وظل يفرك البول على جسده كله حتى تشبع الجسد بالكامل، ثم خلع ملابسه ووقف في المنتصف وبدأ ينطق الكلامات بشكل صحيح وسليم .

كان يردد الكلام دون كلل أو تعب ثم توقف عن الترديد واتجه إلى حقيبته وبدأ وأخذ منها مبخرة نحاسية صغيرة وضعها على الأرض، ثم أشعل الفحم جانبًا وعندما بدأ الفحم في التوهج حمله ووضعه داخل المبخرة، ثم أخرج من الحقيبة روث البهائم وأحرقه داخل المبخرة، ثم جلس على ركبتيه وهو ينظر نحو الجثة ويردد الطلاسم التي حفظها عن ظهر قلب ...

اهتزت جدران الحوش بقوة وعنف ثم سمع صوت قطيع من الأبقار يصاحبه زمجرة كلب شرس فعلم أنه على الطريق الصحيح فوضع في المبخرة روث البشر لتفوح رائحه نتنه لا يتحملها أحد وظل نظره مركزًا على الجثة وهو يقول الكلمات عن ظهر قلب ..

بدأ يظهر الضباب من حوله خفيف وضعيف ثم أخذ يتكاثر وينتشر من حوله ضباب كثيف لزج بارد اقشعر له بدنه عندما لامس جلده ... يدور

الضباب في دوائر وكأنها دوامات ويرتفع عن الأرض رويدا رويدا ، بدأت الرؤية تنعدم تدريجيًا مع كثافة الضباب حتى أصبح لا يرى كف يده .

ضباب بارد كالثلج ثقيل يرتفع عن سطح الأرض حتى أصبح يملئ الحوش كله انعدمت الرؤيه تمامًا وأصبح لا يرى شيئا، لكنه شعر بوجود أحد يتحرك وسط الضباب ... يتحرك بسرعة الريح ... إنه يشعر به وبدبيب خطوات أقدامه على الأرض ... من حين إلى آخر كان الضباب ينقشع قليلا فيرى جسدًا لكلب أسود غطيس يتحرك ثم يعود الضباب مرة أخرى يتكاثف أكثر وأكثر من ذي قبل ..

بدأ الضباب ينقشع تدريجيًا ويهبط إلى الأرض بشكل تدريجي وينحصر نحو الأركان ثم اختفي تمامًا وارتسمت على وجه ناصر ابتسامة المنتصر فالجثة اختفت وهذا دليل على أن المارد ناصور قبل القربان وكان عليه أن ينتقل الآن إلى الخطوة الأهم وهي النوم ..

نام ناصر في الدائره مكان الجثة التي اختفت في وضع الجنين وهو يردد تعاويذه وظل يردد حتى غلبه النعاس لا يعلم كم مضى عليه من وقت وهو نائم، لكنه استيقظ ليجد نفسه في غابة لها أشجار كثيفة أغصانها متشابكة والرياح تضرب وجهه بقوة ووسط عتمه الليل واختفاء القمر ووجود هذا الضباب الكثيف كان لا يرى شيئا على الإطلاق ثم ظهر

من وسط الضباب أسد له جسد عملاق وعيون من نار فعلم أنه المارد ناصور قد حضر بين يديه... هاهو المارد يحضر كما أخبره عثمان ولا يجب أن يتحدث له قبل أن يقدم له فروض الولاء والطاعة ويأذن له ناصور بالحديث فسجد له وظل يمرمغ وجهه في التراب بين يدي سيده ومولاه ناصور ... كان يشعر أن الأسد يتقدم منه وبدأ يشعر بحرارة عالية وكأن هناك نارًا حامية تقترب منه .. الآن هو يشعر بأنفاس الأسد تضرب رأسه وهو ساجد يمرمغ وجهه في التراب وأنفاس الأسد تلفح رأس ناصر وجسده مثل النار الحامية.

رفع الأسد قدمه ووضعها على ظهر ناصر استعدادًا لسحقه، ثم قال بصوت كالرعد تنخلع له القلوب:

_ عايز إيه يا ابن الطين ؟

كان ناصر يعلم الإجابه عن هذا السؤال كما أخبره عثمان، لكنه للحظة شعر أن الإجابة تلاشت من ذاكرته وهذا يعني هلاكه يجب أن يتذكر ... هناك إجابة محددة لهذا السؤال لعله لو كان في اليقظة لاستطاع أن يتذكر، لكنه في حلم فكيف أن يتحكم في حلم وهو نائم وبدأ وزن القدم على ظهر ناصر تزداد ثقلا مما يعني أن ناصور سوف يسحقه وإن مات في الحلم سيموت في الحقيقة فكان عليه أن يتذكر الإجابه لكن ماهي ؟.... ماهي ؟

نعم تذكر الآن ظهرت الإجابة في رأسه كشرر النار المتطاير، لكنه تذكرها وقال:

_ أنا العبد المخلوق من الطين أسجد للملك ناصور سيد الأكوان وملك الظلام المخلوق من نار السموم طامعا أن أكون عبد من عبيده.

رفع الأسد قدمه من فوق ظهر ناصر بينما ظل ناصر ساجد على الأرض فقال الملك ناصور:

_ هتكون من عبيدي يا ابن الطين بس لازم كل شهر تقدم قربان غالي ونفيس وسوف أوفر لك الحماية وسألبي لك كل ما تحتاجه فأنت عبدي الآن .

كان يعلم أنه نجح لكن لايستطيع أن يقوم من سجوده قبل أن يأذن له وقال ناصور كلمات حفظها ناصر عن ظهر قلب وكانت هذه الكلمات هي طلب الاستدعاء لناصور ليحضر بين يدي ناصر في أي وقت يريده ثم أمره بالوقوف بين يديه فاعتدل ناصر ووقف على قدمه، ونظر لناصور ليجد شبح إنسان يتجسد وسط دخان كثيف لا يظهر من هيئتة شيئ، لكن مجرد ظلال وسط دخان كثيف وسقط بين يدي ناصر خنجر له نصل حاد ولامع وقال ناصور:

_ ده عهد بيني وبينك أن خلفت العهد قتلتك وإن مات ابن الطين انتهى العهد.

كان يعلم جيدًا ماذا عليه أن يفعل الآن فعثمان علمه وأخبره بكل شيئ فالتقط الخنجر من على الأرض وجرح كف يده ليتساقط الدم على رقعة جلدية ظهرت فجأة من العدم بعد أن جرح نفسه فأشار ناصور للرقع الجلدية فارتفعت في الهواء ليلتقطها ثم اختفى تماما ...

استعاد ناصر وعيه ليجد نفسه وسط الدائرة في الحوش بمقابر أكتوبر فوقف على قدميه وشعر بقوة غريبة تسري في جسده كله وكأنه امتلك قوه خارقة وأصبحت عينه سوداء بل شديدة السواد إذا نظرت بداخلها قد تموت وعلم أنه أخذ العهد وأصبح ناصور في خدمته من الآن .

في ذلك اليوم عاد ناصر إلى مقابر البساتين حيث يقطن عثمان ووقف أمام الباب ودق عليه عدة مرات ففتح بعدها عثمان الباب وكانت نظرة واحدة في عين ناصر كفيلة بأن يعرف عثمان أن ناصر نجح في تسخير ناصور فابتسم وقال:

_ عملتها يا ابن الكلاب.

فغضب ناصر غضبا شديد فهو الآن لم يعد ناصر الغلبان المسكين الذي يستطيع أي شخص أن يهينه فهو الآن يشعر أن بداخله قوة جبارة تسري في عروقه ... قوة لايستهان بها فرفع سبابته وأشار نحو عثمان فاحتبس البول في مثانته، وظل عثمان يصرخ من الألم ثلاثة أيام ويعاني

وهو يستعطف ناصر ليعفو عنه حتى يقطر ولو قطرة واحدة من البول المحبوس في المثانة .... وعفا ناصر عنه كرامة لأبيه أيوب فهو يعلم أن أبيه كان يعشق صديقه عثمان ونظرًا لأنه أكرمه عندما هرب من الشرطة، ولكنه جعله مساعد له يدير له شؤنه ويدبر له اللقاءات مع الزبائن وظل عثمان مع ناصر ليس حب فيه إنما خوفا منه فبطشه شديد وعلم أنه مهما هرب سيعثرعليه ناصر حتى ولو اختبئ في بطن الجبل فاستسلم لهذه العبودية وأصبح يعاونه في كل شيئ إلا جلسات التحضير والجلب وتسخير الجن ومع مرور الوقت ذاع صيت ناصر في حي السيدة والقلعة والبساتين حتى أنه اشتهر في بعض الأوساط الراقية بأنه صانع المعجزات ..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل التاسع

قادت السيدة سعاد الطريق وخلفها روحية وحنان زوجة ابنها وسط شوارع المقابر الواسعة وسلكت طريق ضيق متعرج ثم انعطفت يسارًا إلى طريق أضيق ثم انعطفت يمينًا نحو طريق أضيق وفي نهاية الطريق وجدت حوش مقبرة مربع الشكل قديم له بوابه خشبية عتيقة أكل عليها الدهر وشرب اختفى لونها أسفل الأتربة وخيوط العنكبوت بجوارها حوش آخر أحدث منه يفصل بينهم سور وكانت المقبرة مكتوب عليها ... (مدافن عائلة دبوس ١٩٣٣م)

دقت سعاد على الباب ثلاث دقات وانتظرت ريثما يفتح لها الباب فقالت روحية:

_ هو عايش في تربة ده ولا إيه ؟

فقالت حنان:

_ أنا عارفه ياخلتي! بقا كل الفلوس دي وعايش وفي قبر ؟!

انفتح الباب بغته ليظهر عثمان بجسده النحيل وبشرته السمراء وعينه

السوداء ينظر لهم ووجهه متجهم فابتسمت سعاد وقالت:

_ صابح الخير ياعم عثمان إحنا واخدين معاد مع الشيخ ناصر.

نظر لثلاثتهم ثم أشار لهم بالجلوس على مصطبة أمام الحوش وأغلق الباب مرة أخرى ... جلست النسوة الثلاثة على المصطبة وقالت حنان:

_ هو راح فين ياختي الجدع ده ؟

قالت سعاد:

_ هيبلغ الشيخ ناصر وهيرجع على طول

فقالت روحية:

_ طب امش إنتي يا سعاد مش عايزين نعطلك.

فقالت سعاد:

_ لا ولا عطلة ولاحاجة أنا فديك الساعة لما أخدمك ... أنا أخدمك بعنية دي حنان دي أختي وأكتر من أختي ..

فقالت روحية:

_ ربنا يديم المحبة بينكم

مرت أكثر من عشرين دقيقة كاملة وهم يجلسون على المصطبة أمام الحوش حتى ظهر مرة أخرى عثمان وقال:

_ أصحاب الخدمة بس هما اللي هيدخولوا

فنظرت حنان إلى سعاد فقالت الأخيرة:

_ خش انتم أنا هستنا هنا ... إنتم أصحاب الشأن مش أنا.

دلفت حنان خلف روحية إلى الحوش المظلم الكئيب الرطب الذي تفوح منه رائحة نتنه لا يتحملها بشر واتوقفو وسط الحوش بينما أغلق عثمان الباب وقادهم إلى غرفة نحو اليسار لها باب خشبي أخضر اللون ودلفت النسوة إلى الداخل وأغلق عثمان الباب وظل خارج الغرفة ...

غرفة مظلمة إلا من مصباح قديم يتدلى من السقف يصنع بؤرة صغيرة من الضوء على منضدة خشبية عليها مبخرة من النحاس الأصفر ورجل يجلس خلف المبخرة وفزعت حنان وروحية فور رؤيتهم له فهو لم يكن جالسا بالمعنى المتعارف عليه بل كان مرتفع عن الأرض مقدار نصف متر تقريبا يرتدي جلبابا أسود وشعره أحمر كصبغه الحناء وله لحية حمراء نظر في عين السيدة روحية وابتسم وقال:

_ اقعدي يا ست رويحة.

وصاحت حنان قائلة:

_ بركاتك يا شيخ ناصر وكمان عارف اسمها.

فقال ناصر:

_ فكراني يا ست روحية.

فهزت روحية رأسها دلالة على أنها تتذكره فأشار لها بالجلوس فجلست على الأرض وبجوارها حنان وقصت على ناصر كل ماحدث مع ابنتها واخوتها فتنهد ناصر وأخرج من جراب بجواره ورقة ودوايه حبر أحمر وريشة سوداء وكتب بداخلها كلام غير مفهوم ثم طبق الورقة على شكل مثلث ووضعها على البخور وهو يتمتم ببضع الكلام فاشتعلت المبخرة نار حامية وكأنها انفجرت بنافورة من النار، ثم هدأت النار بعد لحظه وأغمض ناصر عينة للحظات، ثم قال بعد أن فتح عينه وهو ينظر إلى روحية.

_ بنتك اتعمل لها عمل سفلي بالجنون واندفن في قلب المحيط والجني اللي حضر عشقها وعشان يمتلكها كان بيبعد كل الناس عنها عشان يعرف يستولى عليها لوحده عشان كده كل اخوتها أتأذو بسببها والجن اسمه عزازير ... جن شرس جبار

ضربت روحية بيدها على صدرها وقالت:

_ يا نهار اسود .. عمل سفلي ومين اللي عمل لها العمل ده

فقال ناصر وهو ينظر في عين روحية:

_ واحد اسمه توفيق ومراته اسمها زهرة.

تذكرت روحية الاسم إنها تتذكر الحاج توفيق صديق زوجها وزوجته زهره تتذكر أيضًا إنهم تقدموا لخطبة نادية لابنهم الذي كان يعمل في

دبي.. أيعقل أن يصل الحقد والحسد بين الناس لهذه الدرجة أن تصنع عمل لابنتي من أجل أننا رفضنا ابنهم .. لكن لما لا ألم يقتل قابيل أخيه هابيل ... هكذا كانت تتحدث روحية إلى نفسها ثم انتبهت لوجود ناصر فقالت:

_ طب والعمل يا شيخ ناصر؟

ابتسم ناصر نصف ابتسامة وقال:

_ عشان خاطر عيون نادية أنا هاجي يوم الخميس الساعة 6 وهصرف عنها الجن وهرجعها زي الأول وأحسن، بس لازم يكون أبوها محمد الفولي موجود ويوافق إني أدخل البيت ولا هو ناوي يطردني تاني.

شعرت روحية بالحرج وقالت:

_ العفو ياشيخ ناصر دا إنت الخير والبركة هو احنا لينا بركة إلا انت .. تشرف وتآنس في أي وقت .

أشار لهم ناصر بالانصراف فخرجت روحية وحنان من عنده ليجدوا سعاد تجلس على المصطبة بجوار الحوش وتحركت النسوه الثلاث خارج المقابر وسرعان ما اندمجوا وسط الزحام والناس يستأنسون بهم وشرحت روحية ما حدث بين ناصر ومحمد الفولي عندما تقدم لخطبة نادية ...

الآن تأكد ناصر أن قلبه مازال ينبض بالحب ولم يمت كما تخيل

وهاهي حبيبة قلبه يستحوذ عليها جني ملعون وأيقن أن جلوسه وسط الأموات وممارسة السحر لم يقتل حبه لنادية أبدًا وقرر أن يحررها من سجن الجني عزازير حتى وإن حارب شياطين الأرض كلها ويجب أن يثبت لمحمد الفولي الذي طرده من منزله فيما مضي أنه اليوم هو الأفضل والأهم بين جميع الخلق .....

الفصل العاشر

في ذلك اليوم الموعود كانت تجلس نادية في غرفتها شاردة الذهن تنظر إلى الموجودات بعيون زجاجية لا تسمع سوى الصمت التام حتى وإن كان الضجيج يعم المنزل والشوارع .

انتفضت بغته واعتدلت في جلستها ونظرت إلى النافذة... إنها تسمع الآن صوت سياره تتوقف أمام المنزل فتتجه نحو النافذة ومن خلف الزجاج نظرت إلى الطريق فوجدت رجل أسمر البشرة يرتدي جلبابا أبيض يخرج من سيارة دفع رباعي وخرج خلفه شاب طويل عريض المنكبين له نظرة ثاقبة رفع رأسه إلى الأعلى ونظر لها بعين أفزعتها وأربكتها وشعرت وكأن هناك حبال غير مرئية كتفت جسدها كله وأصبحت غير قادرة على الحركة تمامًا .

دق باب المنزل فاتجه محمد الفولي نحو الباب ووقف لحظه أمام الباب بعد أن فتحه وهو ينظر إلى ناصر الذي ابتسم ودفعه برفق ليبتعد ودخل المنزل وخلفه عثمان، وجلس ناصر على أقرب مقعد ووقف على يساره عثمان وحضرت السيدة روحية ورحبت به، وبعد لحظات حضرت

حنان وجلست بجواره ونظرت له بعيون يملؤها الخجل فنظر لها وقال:

_ قول اللي انتي عايزه تقوليه ياحنان

فهمست في أذن

_ إنت عارف اللي حصل لجوزي وكنت بسأل يعني لو في طريقة ننتقم من اللي عمل كده فيه.

ابتسم ناصر وقال:

_ ماتخفيش هنتقم‌لك منه.

ثم نظر إلى محمد الفولي وأشار له بالجلوس فاتجه الفولي وجلس على الأريكة وكأنه في حاله تنويم مغناطيسي فابتسم ناصر وقال:

_ فين نادية واخوها الصغير.

لحظات وكانت نادية تجلس على الكرسي في الصالة وهي شاحبة الوجه، وكأنها مثل الأموات وجلس شقيقها الأصغر على الكرسي المقابل لهما بينما نظر ناصر إلى عثمان وقال:

_ شوف شغلك.

ثم نظر إلى حنان وقال:

_ روحي شقتك يا حنان وانا هاجيلك.

انصرفت حنان رغم عنها بينما حل الصمت على الجميع ونادية تنظر

له نظرات مرعبة وكأنه ملك الموت بالنسبة لها، لكن ناصر كان يعلم أن الجني مسجون الآن داخل جسد نادية وهو من سجنه ولجمه بطلسم مسحور حتى لا يهرب من مواجهة الساحر كما يفعل الجن الجبان ورغبة عارمة تجتاح كيان ناصر في تعذيبه أكبر قدر ممكن ...

انتهى عثمان من رسم طلسم على الجدران بالدماء وعلى الجدار الآخر وعلى الأرض، ثم اتجه إلى منزل حنان وبدأ في رسم نفس الطلسم على الجدران والأرض ثم اتجه إلى السيارة وأحضر منها أربع أزواج من الحمام الأبيض ووضعهم تحت أقدام ناصر الذي أخذ الحمامة الأولى وذبحها وألقى بها على الأرض ثم الحمامة الثانية.

اتجه ناصر إلى منزل حنان وقام بذبح الحمام هناك أيضًا بينما كان الجميع في انتظاره في شقة محمد الفولي قالت روحية لعثمان:

_ هو الشيخ بيعمل إيه

فنظر لها وقال:

_ بيجهز العزائم عشان يخرج الجني من جسم نادية.

عاد ناصر إلى منزل محمد الفولي، بينما كان الأب يجلس على الأريكة وبجواره روحية وعلى المقعد المجاور له نادية وعلى المقعد الآخر ابنه الأصغر كان يقف ناصر وسط الصالة عاري تماما إلا مايستر العورة وحول

خصره كرباك سوداني فحل الكرباك من حول الخصر وجلس على ركبتيه وعثمان يقف بجواره وبدأ في قول بعض العزائم والتمائم بصوت خافت وهو يجلد نفسه بقوة حتى أن ظهره بدأ ينزف دما وهو مستمر في الجلد وقول الطلاسم المسحورة ...

اشتعلت الرسومات على الجدران بالنار والرسومات التي على الأرض كذلك ودب الرعب في جسد روحية واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم بينما الفولي ونادية وابنه يجلسان وكأنهم في حاله تنويم مغناطيسي ..

ناصر يجلد نفسه وهو يتمتم بلغة غريبة لا يفهمها أحد ممن حوله وانحنى عثمان نحو أذن ناصر وقال همسًا :

_ الرموز اشتعلت نار وده دليل على أن في كيان شرير هيحضر إنت مش هتعرف تسيطر عليه.

فنظر له ناصر بنظرة غضب مميت، لكنه بدأ يشعر بدوار قوي وعنيف وشعر أن المكان كله يدور ويدور وأن عثمان يبتعد ويبتعد فهس عثمان في أذن ناصر وقال:

_ لو حاسيس بدوار وإن الدنيا بتلف بيك فده معناه أن الجن اللي معاك بيهربوا وهيسبوك هما مش هيعرفوا يواجهوا الكيان اللي هيحضر ... لازم توقف اللي بتعمله.

دلفت روحية إلى غرفتها وهي ترتعد رعبا ودفنت رأسها في المصحف تقرأ بصوت ضعيف أشبه بالهمس حينما سمعت صوت صرخة قويه تاتي من حنجرة ناصر قبل أن يسقط على الأرض في حالة إغماء تام نتيجه هروب الجن الذي معه بغتة دون سابق إنذار، وشعر عثمان بالهلع وظل يتلفت حوله في رعب وسمع صوت كالرعد يقول:

_ الملك ظام.

حينها تيقن أنه هالك لا محالة وأطلق ساقيه للريح وهرب من المنزل كله فهو الآن تيقن أن الطلسم المرسوم على الأرض والعزائم التي نطق بها ناصر لم تكن لتعذيب الجني عزازير الذي يسكن جسد نادية، لكنه أخطأ وأحضر طلسما وعزائم استدعاء ملك العالم السفلي(ظام) .

توقفت قلوب كل من محمد الفولي وابنه ونادية فور رؤيتهم لهذا الكيان الشيطاني الذي حضر وتجسد في صورة دخان أسود يطوف المنزل كله بسرعة الريح ليذبح الجميع ويخلع لهم ملابسهم ويقطع أعضاءهم التناسلية، ويضعها في فم كل ضحية ودلف هذا الكيان إلى غرفة روحية وشعرت بكيان يقف أمامها فرفعت نظرها من المصحف لتنظر له فوجدت عيون مثل النار كحمم بركان فصرخت وسقطت مغشيًّا عليها، وحاول قتلها لكن المصحف الذي في يدها منعه فحملها وألقى بها عند ترعة الزمر ليعود لقتلها فيما بعد وبدأ في ذبح كل من في المنزل حتى حنان وأطفالها وزوجها ....

عندما انتهيت من الحكاية وجدت ملامح الرعب والفزع على وجه صديقي خالد وقال:

_ والست روحية ماتت هي كمان بعد كده في المستشفى مش كده

فهززت رأسى وقلت:

_ الناس كلها اتعذبت.

وشعرت بالرعب يجتاح كياني وبرد قارس يسيطر على جسدي كله عندما قال خالد:

_ إنت أكيد لما رحت تصور الجريمة صورت الشقتين اللي في الدور الأول وماكنتش تعرف أن سكان العمارة كلها من الدور الثالث لحد الدور الأول كلهم ماتوا مذبوحين.

تصلب جسدي وتأكدت أنني كنت أجلس مع شبح الأستاذ ممدوح عندما روى لي ماحدث لهم .

لا أدري إن كان ماحدث لي حقيقة أم خيال، لكني عرفت فيما بعد أن الطلسم الذي صورته أخفاه الجني (ظام) من على الكاميرا حتى لا يعرفه أحد وأنه قتل ناصر في الحجز لأنه استدعاه ولم يصرفه ويسيطر عليه، وكان يرغب في قتلي أنا أيضًا لأنني صورت الطلسم لكن بعد موت ناصر انصرف عني ولم يحدث أي شيئ بعد ذلك في منزلي ولم أرَ أي شي غريب ..

وكل هذا عرفته بعد هذه الحدثه بعام واحد عندما قابلت الشيخ (علي) وهو الذي أخبرني وفسر لي كل هذه الأشياء التي كانت مبهمة بالنسبة لي خاصة الجزء المتعلق بمنزلي وما حدث لي، لكن انتظر إنها قصة أخرى ... قصه الشيخ (علي) قصه أخرى تمامًا لماذا أرويها لك الآن ... لكن سوف أرويها لك فيما بعد ....

تمت

بحمد الله